

بضع ساعات في يوم ما...!

رواية

محمد صادق



للنشر والتوزيع

رواية

بضع ساعات في يوم ما...!

محمد صادق

■ الطبعة الخامسة..... أغسطس 2014

الغلاف: عبد الرحمن الصواف

المراجعة اللغوية: محمد الكشك

رقم الإيداع: 2011/17425

الترقيم الدولي: 8 - 09 - 5153 - 977 - 978

جميع حقوق الطبع محفوظة

3 شارع إدريس - أول شارع الوحدة - إمبابة - الجيزة

هاتف وفاكس: 33100951 (202)

محمول: 01147379183

rewaq2011@gmail.com

facebook.com/Rewaq.Publishing



للنشر والتوزيع

إهداء

في تلك الرواية.. أدين بالفضل لأناس كثيرين لا تتسع تلك الصفحة لاستيعابهم..

يكفي أني أريد إهداءها لكل من أوحى لي بلمحة أو جزء من شخصيات الرواية، مقدراً فضلهم الكبير علي، لمجرد أنهم (هم)..

أبي الغالي (أحمد صادق).. وأمي الغالية.. أعتقد أني سأظل أهدي جميع رواياتي لكم؛ لأن ما تفعلونه من أجلي يفوق أحلامي بكثير... «ربنا يخليكوا ليّا»..

أحمد جمال، أحمد محمود، أحمد عبد العاطي، محمد فخري، محمود مصطفى، أحمد نشأت، ريم، ياسمين، مي، سارة.. كل منكم أعطاني دون سؤال.. محبة صافية وإخلاص نادر.. فأنتم أصدقائي.. بمعنى الكلمة...

إلى حبيبتتي...

الرواية ليست وطنية.. لكنني أهديها لكل شهيد في الثورة رفض أن يترك مصر إلا وهي تتزين بدمائه...
«يارب الرواية تعجبكم»...

محمد صادق

مقدمة

إنها بضع ساعات في يوم ما...

ما الذي يمكن أن يحدث؟؟..

الآن يمر الوقت ولا ندري أي شيء عنه... فجأة نجد الساعة تشير إلى الخامسة... ثم ننظر بعدها إلى الساعة نجدها الواحدة صباحاً...

إذن ماذا يمكن أن يحدث في رواية.. نتحدث عن بضع ساعات؟؟!!

سؤال سألته لنفسه.. وحتى الآن لم أجد إجابة عنه..

فلماذا لا نبحث عن الإجابة معاً؟؟...

أول الساعات

الثانية عشرة بعد منتصف الليل

<< أريد شراء بعض السجائر... >>

قالها لنفسه وهو يتشاءب بشدة، ثم نظر إلى ساعته التي تشير إلى الثانية عشرة بعد منتصف الليل بالضبط، ثم أصدر (الكمبيوتر) تلك الرنة المميزة التي تعلن أن هناك من يحدثه على (الماسنجر)، ففتح نافذة الحوار ليجدها (يسرا) صديقه تقول:

- هذا هو الموضوع، فما رأيك؟! ... هل أسمع كلامه وأرتدي الحجاب، أم لا؟! ... أنا عن نفسي لا أريد أن...

يتشاءب ثانية في ملل وهو ينظر إلى نافذة حوار أخرى، كانت (أمل) هي من تحدثه قائلة:

- ثم إنه من أخطأ، ويريد مني أن أصالحه، هل قامت القيامة عندما لم أبعث إليه رسالة عندما وصلت البيت؟! لقد خرجت لشراء بعض الملابس مع أخي. بالله عليك.. ماذا يمكن أن يحدث لي حتى يقلق - أو يدعي القلق - ويغضب كل هذا الغضب؟! كل هذا الغضب؟! كل هذا الغضب؟!

فتح نافذة أخرى حيث كان خطيب (أمل) يقول:

- لماذا لا يفهمون أننا نقلق عليهم؟! قد يحدث لهم أي شيء، ثم إن طلبتي بسيط جداً... فقط طمئني عليك عندما تصلين البيت. هل أصابعها الثمينة

تعجب من كتابة الرسالة!؟... لعنة الله على من أراد الزواج يومًا...
شعر ببعض الصداغ، فتأكد من أنه يريد السجائر، فكتب لكل من يكتب له،
وهو يحمده أنه لم يرتبط حتى الآن:

brb -

ودوّت خلفه وهو ينهض سبع رسائل تقريبًا تقول الكلمة نفسها:

tyt -

كان مرهقًا، لكنه ارتدى ملابس خفيفة رغم برودة الجو، وهبط مسرعًا، كان
كل أهل بيته نائمون؛ ليأتي ببعض السجائر من الكشك أمام بيته...

<< السلام عليكم... >>

صوت رقيق قالها، جعله يلتفت ليجد فتاة جميلة، تركب عربية مكشوفة،
قربتها من الرصيف ليتمكنها محادثته، فقال:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته...

ابتسمت ابتسامة رقيقة وقالت:

- أريد الذهاب إلى العاشر من رمضان... عندي سؤالان...

اقترب من النافذة كي يسمعها، فقالت:

- كيف أذهب إلى هناك!؟... وأين أنا!؟

ارتفع حاجباه في دهشة، وقال مبتسمًا رغمًا عنه:

- سؤالان قمة في الأهمية...

ابتسمت، فقال:

- من أين أتيت؟... وكيف لا تعرفين كل هذا!؟

شعر بعدما سأل أن الجواب المنطقي الوحيد هو << وما دخلك أنت؟ >> إلا

أنها ابتسمت في هدوء وقالت:

- أنا قادمة من المهندسين... كلموني هاتفياً ليخبروني أن أبي سقط أرضاً

أثناء عمله، فذهبوا به إلى مستشفى في العاشر من رمضان... فلم أفكر وأخذت

العربة وأنا لا أعلم شيئًا عن الطريق... وأخذت أسأل الناس حتى وصلت إلى
هنا...

تعجب من لهجتها الهادئة وابتسامتها رغم ما حدث لأبيها، ويبدو أنها
فهمت تعجبه، فقالت بهدوء:

- إن أبي إن لم يسقط كل أسبوع مرة، لقلقت عليه... إنها أزمة رهو تأتيه
باستمرار ولكنها دائمًا ما تفقده وعيه لا أعلم لماذا، وهو يصر على عدم أخذ أية
أدوية... فعنده (فوبيا) ما تقريبًا...

ابتسم، وبدأ لأول مرة يرى عينيها الواسعتين، وفمها الدقيق، وشعرها الناعم
المتطاير من الهواء، فقالت بابتسامة:

- لقد أشبعت فضولك، في حين لم تجبني عن أي سؤال...

شعر بالإحراج، فقال مبتسمًا:

- أنت في مدينة نصر... بالتحديد أول شارع الطيران... أما عن كيف
تذهبين فهذه قصة يطول شرحها...

ولا يدري لماذا إلا أنه سألها عندما شعر أنه يريد أن يسأل:

- هل تريدان أن أوصلك؟

نظرت إلى الساعة التي تشير إلى الواحدة إلا ربعًا بقليل، وبدأ عليها التردد،
فابتسم وقال:

- لا تقلقي، فأنا لم أهبط من بيتي مخططًا أن أغتصب أول فتاة تسألني عن
الذهاب إلى العاشر من رمضان...

شيء ما في لهجته الهادئة وابتسامته، جعلها تقول - دون أن تدري أيضًا
كيف قالتها - بابتسامة:

- حسنًا... لكن أرجو ألا أكون قد سببت أي إزعاج....

ذهب للمقعد الذي بجانبها، وفتح الباب ثم جلس، وقال وهو يمد يده إليها
قائلًا:

- (ياسين)...
مدت يدها لتصافحه وقالت:
- (سارة)...
ثم أدارت العربة...
وانطلقا.

* * * * *

عندما أخبرها (ياسين) < < brb > > جلست (يسرا) تنتظر قليلاً، ثم زفرت في حنق وقالت:

- أين أنت يا (ياسين)؟!

لا تدري لماذا كانت تشعر بكل هذا التوتر والغضب، لذا، فتحت صفحة ال (facebook) وأخذت تتأمل أخبار الناس عسى أن تنسى قليلاً ما بها...

<< (أحمد العاصي) أخذ اختبار (كم أنت أبيع) وكانت النتيجة: أنت سافل ومنحط... >>

<< (أمينة محمد) تدعوك لمجموعة (إغلاق صفحة الله) التي يدعي فيها أحد الأشخاص أنه الله... ويطلب من الناس أن يعبدوه... والمصيبة أن له حتى الآن ستة عشر ألفاً من المشتركين... >>

<< (أحمد السيد) غير حالته العاطفية إلى مرتبط... >>

<< (ياسين المصري) لعب لعبة (بلاك جاك) وفاز فيها... >>

<< (أحمد العاصي) أخذ اختبار (وضعك الجنسي المفضل) وكانت النتيجة

(وضعية الكلب)... >>

شعرت بالملل فكتبت في (ما تفكر فيه) جانب صورتها:

- أنا أكره الحجاب... وأكره من يريدني أن أرتدي الحجاب...

نظرت تتأمل ما كتبه، ثم أدركت كم ستثير كلماتها غضب كل من يعرفونها، وستجد تعليقات كثيرة من مدعي الصلاح والهداية، ويزاند شجار كبير مع (أسامة) الذي ارتبطت به منذ شهرين فقط، أخبرها بعدها انه لن يكمل الا لو ارتدت الحجاب... فمسحت ما كتبه ثم كتبت شيئاً آخر:

- مخنوقة...

وضغطت زر «إدخال»، لتجد الصفحة الرئيسية ينضم لها ما كتبه، مع بعض الأخبار الجديدة، ووجدت (اسلام الحسيني) أحد أعز أصدقائها بعد (ياسين) قد أشركها في مقالة كتبها... ففتحتها في هدوء عسى أن تجد شيئاً يلهيها...
<< العنوان: أنا إن قدر الإله مماتي... >>
- يا ساتر..

قالتها لنفسها، ثم أكملت قراءة:

- << هذا العنوان هو جزء من قصيدة، غنتها (أم كلثوم) يوماً، وهي (مصر تتحدث عن نفسها)... سمعتها ورغم عني ذهلت من قوة كلماتها... وذهلت من شعور الناس بمصر وقوتها ومكانتها في سائر الدول، في هذا الزمن... ورغم عني قارنتها بتلك الأغنية للمطربة اللبنانية، اسمها (80 مليون إحساس)، ولا أدري لماذا، شعرت بتقلص في أمعائي... >>

كيف تحولت تلك العزة والكرامة والشموخ إلى صوت ضعيف... وكلمات معظمها (شحاتة) كي تجعل الناس يحبون مصر... هل ساء بنا الحال إلى هذا الحد؟!... بكل بساطة؟! >>

أغلقت المقالة بسرعة، دون أن تتحمل أن تكملها، ونظرت إلى الساعة لتجدها الواحدة إلا ربعا، و(ياسين) لم يعد بعد، وقد كانت تتوق إلى الفضفضة معه بعض الوقت...

نهضت تتأمل نفسها في المرأة التي بجانب جهازها تماماً...

فتاة جميلة، بعينيها البنيتين، وشعرها الناعم تماماً، وجسدها الذي أدار عقول أناس كثيرين، بخصرها المنحوت بيد نحات بارع، وصدر بارز لكن

في اعتدال، ومؤخرة تلهب العقول... هكذا فكرت، وهكذا - من نظرات
الناس - تشعر...
كيف لكل هذا الجمال أن يذوب في الحجاب والملابس الواسعة؟...
رن جرس هاتفها المحمول، فالتجعت إليه متوقعة أن يكون (أسامة).. ذهبت
متأقلة فوجدت رقمًا غريبًا، فردت:
- ألو...
- ألو...

قالها صوت دافئ عميق، ولم يضيف شيئًا إلى ما قاله مما جعلها تقول:
- من معي؟

رد الصوت بعد فترة صمت:
- لا أدري ما أقول، أو أقدم نفسي به، سوي أنني (أعاكس)... فأنا ملكت
من كل شيء، فقلت لم لا أجرب رقمًا... وأتحدث إلى شخص غريب عني...
ابتسمت وقالت في هدوء:

- هل تتوقع مني أن أصدق تلك القصة البلهاء؟
رد الصوت:

- لأنها الحقيقة، فهي تبدو لك بلهاء... لكنني لا أملك سواها، ولك مطلق
الحرية في الإغلاق في وجهي، ولن أحدثك ثانية... صدقيني فلقد أغلق الحظ
في وجهي ثلاث رجال وفتاتان وطفلة حتى الآن... ولم أحدثهم ثانية!!
ابتسمت، وقد شعرت من هدوء صوته ودفئه، أنها نسيت ذلك التوتر والملل
الذي كانت فيه، فقالت وهي تتمدد على السرير:
- وما الهدف؟

رد الصوت بعد فترة صمت كأنه يفكر:

- تريدني الحقيقة، أم ابنة عمها؟

قالت باسمه:

- فلنبدأ بابنة عمها...

قال الصوت باسمًا:

- التحدث... فقط التحدث في أي شيء وعن كل شيء لشخص غريب،
عسى أن أكسر ملل الأيام ورتابتها...

قالت مبتسمة:

- والحقيقة؟

بعد لحظة تردد، قال:

- وتعديني ألا تغلقني الحظ في وجهي!!

قالت باسمه وهي تتوقع ما سيأتي:

- لن أغلق... أعدك...

قال بهدوء وثقة:

- حلم أي رجل قابليته وتقابليه وسوف تقابليه...

صمتت، ولم ترد، رغم أنها فهمت حتى قبل أن يكمل كلامه:

- الجنس... مكاملة جنسية مع أية فتاة...

ورغم أنها لم ترد... إلا أنها لم تغلق...

وساد الصمت...

* * * * *

زفر (محمد إسماعيل) في غضب، عندما أخيره (ياسين) (brb)، وعندما
تأخر لم يدر ماذا يفعل، فأمسك هاتفه، وطلب رقم (أمل)، وظل منتظرًا حتى
دوت صافرة نهاية المكالمات، فاتصل ثانية، ليجدها ترد هذه المرة فقال بعصبية:

- لماذا لم ترددي؟

قالت (أمل) ساخرة:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته...

قال بعصبية:

- لماذا لم ترددي؟! -
بهدهوء ردت ربما كي تستفزه ليس أكثر:

- لم أسمعه...

اهترت قدمه بسرعة من الغضب وقال:

- (أمل)... أنا خطيبك ولست عدواً لك... فـ..

قاطعته هذه المرة بصرامة:

- ماذا تريد يا (محمد)... هل تتحدث الآن كي تصالحني أم كي تكمل

الشجار؟! -

صاح هذه المرة:

- أصالحك؟! أنت مجنونة؟! من منا أخطأ في حق الآخر... لقد نزلت

مع أخيك دون علمي، جالس في بيتي لا أفكر في شيء، وأكلمك لأجلك في

الشارع، وترتيكين ثم تخبريني أنك مع أخيك... دون حتى أي رسالة...

وعندما أكنم غضبي، وأطلب منك أن تخبريني برجوعك، تعودين لبيتك ولا

تكلميني... فما هذا بالضبط؟! -

لم ترد فصرخ فيها:

- ردي علي...

قالت وقد أوشكت على البكاء:

- ماذا تريد؟! -

قال بغضب الدنيا:

- الحقيقة... أين كنت حقاً؟! -

قالت ذاهلة:

- ثانية؟؟؟... قلت لك إنني كنت مع أخي و...

صرخ فيها رغماً عنه:

- كاذبة...

صدمت من صراخه وكلمته الجارحة، فأكمل ثورته:

- لقد حدثت أخيك بعد ما أغلقت الخط معك... ولم أخبره بشيء عندما
لاحظت ذلك الهدوء في الصوت خلفه، بعكس الأصوات الصاخبة التي كانت
خلفك وأنت تحدثيني، وسألته عن مكانه، ليخبرني أنه عند (الميكانيكي) يصلح
شيئاً ما في العربة...

تجمدت الدمعة في عينيها وقالت بحزم:

- لماذا كلمته يا (محمد)؟! -

صرخ فيها:

- أهذا وقته؟!... أم أنه هروب...

صاحت هذه المرة:

- لماذا كلمته بعد ما كلمتني؟! -

وصل إلى مرحلة من الغضب جعلته لا يميز ما يقول:

- لأنني لم أثق فيما قلت... هل ارتحت الآن؟!... لكن بمتهمة الصراحة...

ألا ترين أنني على حق فيما فعلته؟! فما قد اكتشفت أنك كذبت علي، وربما

كنت تخونيني وأنا لا أعلم...

صاحت مصدومة:

- كيف تجرؤ؟!... أخونك؟! -

صرخ فيها:

- اذن لماذا تكذبين؟!... لماذا تدارين نزولك ولا اكتشفه إلا مصادفة، لماذا؟! -

قاطعته صارخة:

- لأنه عيد ميلادك يا أحمق...

أكمل صراخه وهو لم يسمع من كلامها إلا كلمة واحدة:

- أحمق؟!... هل جنت؟!... كيف تقولينها.. بل... كيف تفكرين فيها

أصلاً؟! -

صاحت، وقد أثار ارتفاع صوتها أهل بيتها كلهم، فأتى أخوها وأمها،

وفتحا الباب وهي تقول باكية:

- وكيف تجرؤ أنت على قول أني أخونك؟!
ذهب إليها أخوها وأمسك الهاتف عندما وجدها قد انهارت في البكاء
وقال:
- الو...
حاول (محمد) كتم غضبه، وقال بصوت مرتجف من كثرة الغضب:

- أجل يا (مصطفى)... ألم تخبرني أنك عند الميكانيكي؟... عندما كلمتها
قالت إنها هبطت معك، بل وتدعي الآن أنها نزلت لشراء هدية لعيد ميلادي
وهو بعد شهر...!!!
قال (مصطفى) بصرامة:

- إنها لم تكذب... لقد أوصلتها للمكان الذي تريد أن تبتاع منه هديتك، ثم
ذهبت للميكانيكي عندما لاحظت عطلاً ما بالعربة...
بدأت ثورة (محمد) تهدياً، مع شعوره بالندم، فقال:
- حسناً... أعطني إياها كي أحدثها...
قال (مصطفى) بصرامته وهو ينظر لـ (أمل):
- إنها منهارة الآن... سأجعلها تكلمك عندما تهدأ...
ثم أغلق الهاتف، ونظر لأمه التي تربت على كتف (أمل) مهونة، ثم قال لأمه
في حزم:
- اذهبي يا أمي واتي بكوب من الماء...

ذهبت الأم مسرعة، فأغلق (مصطفى) الباب، ثم أغلق المزلاج، فنظرت له
(أمل) نظرة خائفة، فنظر إليها صامتاً...
وطال الصمت...
و(أمل) منهارة في البكاء...
قال (مصطفى) بهدوء ينذر بعاصفة قادمة:
- (أمل)...

نظرت إليه بعينين مليئتين بالدموع، فأكمل:
- أريدك أن تخبريني الآن أين كنت... ومع من؟ وكيف تكذبت علي
خطيبك، وتجعليني أكذب عليه أيضاً؟
وانهارت (أمل) أكثر...

ثاني الساعات

الواحدة صباحاً

رن جرس ساعة (ياسين) لتعلن الواحدة صباحًا وهو في العربة مع (سارة)،
ولم تكن قد مضت ربع ساعة منذ أن ركب معها، ولم يتحدثا بكلمة واحدة...
كلما اتت بذهنه كلمات ليبدأ بها الحوار، وجدها سخيفة جدًا، قبضت
مهماً...

قالت (سارة) فجأة وقد ملت السكوت:

- ما هذا الزحام؟! توقعت في هذا الوقت أن تكون الطرق فارغة...

ابتسم، وقال لها:

- إننا في طريق النصر... سيظل مزدحمًا حتى شارع النادي الأهلي، ثم
ننطلق بعدها بسرعة...

قالت باسمه:

- هذا لا يرد على سؤالي... لماذا هو مزدحم؟!؟

قال متفلسفًا:

- هذه هي مصر يا عزة... زحام شديد طوال الوقت... ثم في هذا اليوم
بالذات يهبط كل الناس ليلاً كأنه عيد مثلاً... وكلهم بلا استثناء لا يفعلون شيئًا
على الإطلاق... لذا، فأنا أرفع لك القبعة...
ضحكت ولم تعلق، فنظر لها وقال باسمًا:

- كم عمرك؟

قالت ضاحكة:

- كم تعطيني؟

أعاد رأسه للوراء وصاح:

- يا للسؤال الممل الذي أسمعته من كل فتاة أقابلها... لو قدرت أصغر من سنّها الحقيقي تسعد جدًا، ولو أكبر منه، لضررتني بحداثتها...

ضحكت، ثم قالت ترد عليه:

- السؤال أيضًا سخيف لو لاحظت، لكنني لا أخجل من عمري.. أنا في

الخامسة والعشرين... وأنت؟

ابتسم في سخرية وقال:

- كم تعطيني؟

وأكمل بعد ضحكتها:

- الرابعة والعشرون... أصغر منك بعام...

هزت كتفها بلا معنى، ثم لم تلبث أن صاحت:

- أخيرًا...

قالتها عندما خف الزحام، وبدأت تسير بسرعة نسبيًا ثم قالت له:

- هل أصعد الكوبري أم لا؟

هز رأسه أن لا وقال:

- سيري من تحته... سنأخذ طريق (السويس) فهو أسرع...

وسارت العربة في طريقها...

* * * * *

>> يابني كفي تلك الاختبارات السافلة التي تأخذها على
الـ (facebook)...<<

ضحك (أحمد العاصي) بشدة، وهو يقرأ تلك الرسالة من (رجيم) صديقه،
في حين أكملت كتابة:

- كل الناس تستخدم هذا الموقع في أشياء نظيفة، أفتح الصفحة الرئيسية
لأحد كل أخبارهم طيبة... ثم أقرأ أخبارك أو أفتح ملفك... أشعر أنني تحت
صفحة (بورنو)...

كتب لها باسمًا:

- لا بد أن أترك بصمتي في كل مكان يا (هاشا)...

كتبت مبتسمة:

- بصمة قدرة...

ضحك بشدة كأنما تقول له إطرأ، ثم فتح ذلك الموقع الجنسي ليحمل قليلًا
يشاهده فكتبت له:

- ماذا تفعل؟!

كتب مبتسمًا:

- أشاهد بعض أفلام (البورنو) كما تقولين...

بعثت له بوجه يقبي؛ لتعلن عن تقززها، فقال غامزًا لها:

- لا بد من إرضاء (حمادة) كما تعلمين...

بعثت له نفس الوجه وقالت:

- لعنة الله عليك وعلى (حمادة)...

ثم كتبت:

- لا أعلم لماذا مازلت أعرفك أصلاً... أو حتى أحدثك...؟!

ضحك وهو يكتب:

- لأنني صريح.. لا أكذب ولا أداري ولا أفعل شيئًا أخجل منه.. سأظل

هكذا طوال عمري، وهذا شيء نادر بشدة ولن تجديه إلا في.. ولا تتظاهري

أنك لا تعلمين هذا...

كتبت:

... هناك النساء لا تقال للفتيات يا (عاصي)...

كتب مستمناً:

... أي فتيات يا (رامي) ١٢٢... أنت تعرفين أنني أعاملتك كصديق لي، وليس
صديقة، وهذا مريب، ولا يجعلني أنظر إليك كأنني أصلاً...

كتبت حائرة:

... ولماذا لا تنظر إلي كأنني ١٢٣؟

انسم وكنت:

... لائي لو نظرت إليك كأنني، لن أرى سوى صدرك... هل تريد من
الفتيات بالنسبة لي شيء مادي بحت، وأنا أعرفك يا (رامي) منذ الطفولة
أعرفك كإنسان وشخص، وهذا يجعلني أرتاح معك أكثر...
صمت وهي لما كتب في ضيق... ولم تستطع أن ترد...

كتب لها بعد فترة:

... سلام موقفك يا (رامي)... (حمادة) يناديني...

* * * * *

عندما طال صمت (يسرا) قال الصوت لها:

... غظيت متي... أليس كذلك؟

لم ترد أيضاً، فقال الصوت الدافئ وقد سيطر عليه الأسف:

... آسف... بمحكك أن تغلقي إذا أردت...

خرجت عن صمتها هذه المرة وهي تقول:

... لماذا يفكر الرجال هكذا دائماً؟ لماذا لا يشغل عقلهم إلا الجنس وينظرون
للمرأة كجسد فقط... يريدونها أن تتحجب مثلاً لأن جسدها ينزعج
يريدونها لا تعمل لبس لترعي البيت، إنما كي لا يراها الآخرون ويفكروا بها
بل والأسوأ من هذا أنهم يتصرفون كأن هذا من حقهم... لمجرد أنهم رجال

صمت هذه المرة ولم ترد، فأكملت شاردة:

... أنا لا أعرّض على فكرة الحجاب... فهكذا يخبرني الدين أن أفعل، لكنني
أعرّض على فكرة تحجج الرجال بالدين من أجل فرض سيطرة ما... كما
خلقنا نحن لإسعادهم وإرضاء شهواتهم وسماح كلاسهم وإلحاق أفعالهم...
كيف لي أن أشعر، عندما يؤكد هذا عالمي كله؟ أشعر أن دوري في هذه الدنيا
هو إكمال حياة شخص ما ١٢٤

وعندما لم ترد قالت له:

... هذا سؤالي فرد عليه... كيف يفكر الرجال ١٢٥؟

تحجج الصوت ثم قال بأسماً:

... لم أكن أعلم أنك من مناصري حقوق المرأة... فهذا كلام قبل منذ قرون...
قالت متسلسلة:

... لست هكذا... ورغم أن هذا الكلام قبل منذ قرون كما تقول... فلسافاً

تشعر كل فتاة مثلي بهذا حتى الآن...؟

وأكملت شاردة:

... فيها أنت ذا كرجل، تتصل بنمرة غريبة: آملاً أن تراه فتاة ما عليك... فتطلب
منها بمنتهى الهدوء أن تكلمك مكالمة جنسية... معتبراً المرأة صوتاً وجسداً
فقط...

لم يرد، فصمتت شاردة...

ثم لم تلبث أن قالت بعد فترة بحسم:

... حسناً...

قال متسائلاً في تردد:

... ماذا؟

قالت وعلى شفيتها بسمة:

... ألا يريد (أسامة) أن التحجب رغماً علي؟ وإن لم أفعل وقطعت علاقتي معه،
سأريد أي رجل بعده إجابتي على شيء آخر ألا كان ١٢٦؟ أليس دوري في الدنيا

ان اسمع كلام الرجل ١٩

قال بتردد:

- (اسامة) هذا شرير!

لم تهتم بما قال وهي تكمل وعينيها تالفتان:

- سامع كلام العالم كله... سأستسلم... وألحظ غذا...

واكملت:

- لكن بعد أن أمرد...

قال:

- ماذا تعنين ١١٩

قالت مبتسمة:

- لك ما تريد... إذا كان الحقيقة... أو ابنة عمها...

* * * * *

ارتجفت كل ذرة في جسد (أمل)، أمام نظرة أخيها الصارمة، وانهارت في البكاء أكثر، في حين ظل (مصطفى) على هدوئه، وهو يتجه نحو مقعد، ويجلس عليه، وهو ينظر إليها حتى هدأت حدة بكائها، فقال بوجه صارم لا يلين:

- هل انتهيت ١١٩

أومأت برأسها أن نعم، فصمت قليلاً ثم قال:

- إذن ردي علي... أين كنت ١٩ ومع من ١٩...

طال صمتها وترددها.. فقال هذه المرة بنفس الهدوء واللهجة القاطعة:

- دعيني أوفر عليك مجهود قولها...

ومال عليها ينظر إلى عينيها مباشرة مكماً:

- كنت مع (أمن)... أليس كذلك ١٩

انتفض جسدها رغماً عنها، كأنها أصابها برصاصة، وارتفعت عيناها الملتفتان بالدموع تنظران إلى عينيها الصارمتين نظرة اعتراف أبلغ من مليون كلمة، لكنه لم يرحمها وصرخ فيها:

- أليس كذلك ١٩

أومأت برأسها أن نعم، وقد السالت دموعها ثانية على خدها...

وعندما طال صمته، قالت بصوت خافت:

- لم يكن هناك شيء... فقط تشاجر مع زوجته! وكان يريد أن يحكي لأحد

ما بداخله حتى يستريح...

قال (مصطفى) ساخراً:

- وبالطبع لم يجد إلا خطيئته السابقة... ولماذا أقول خطيئته وأجاملك...؟

بل تلك الفتاة التي قرأ معها الفاتحة... ولم يأت في حفل خطوبتهم، وتركها

وحيدة تبكي أمام كل الحاضرين... ثم اتصل الفجر ليخبرها أنه لم يكن مستريحاً

في العلاقة، فقرر عدم المجيء... لم يجد إلا تلك الفتاة ١١١٩

بدأت تبكي ثانية، وهو يكمل:

- أنا أخبرك لماذا لم يجد سواك ليحكي له؛ لأنك بلا كرامة، وبلا عزة

نفس تجعله يفكر أصلاً فيما تشعرين، وستظلين طوال عمرك بالنسبة له أداة...

يستخدمها وبقما يريد، ويلقيها وبقما يريد...

قالت له برجاء: كفى...

حاول أن يكتفم غضبه، ويصمت، لكنه لم يحتمل فتساءل بغضب:

- هل نام معك مثلاً ولا تريد أن تخبرينا ٩٩٩

نهضت من الفراش وهي تصيح فيه بصرامة:

- (مصطفى) ١١

صاح فيها منفعل:

- إذن أقنعيني!! كيف لا زلت تقابلينه ١٩ كيف ساعته على كل هذا ١٩ لقد

تزوج... تزوج... ومن فتاة أقل منك... فكيف تسامحينه ١٩ طوال عمري

أسمع أن الفتيات لا يسنين أول من ينام معهن أو يقبلهن...

فهل فعلت ذلك؟؟

صاحت فيه:

- بالطبع لا...

صرخ فيها:

- إذن لماذا؟!

صرخت فيه متفعلة:

- لأنني ما زلت أحبه...

قالتها، فساد صمت تام...

* * * * *

ابتسم (إسلام الحسيني) وهو يقرأ مقالته (أنا إن قدر الإله مما تبي) للمرة العاشرة تقريباً، وهو يضغط على أيقونة تحديث الصفحة، منتظراً أي تعليق من أصدقائه عليها، ثم أدرك أنه مرت ساعة ونصف تقريباً منذ نشرها وشارك فيها أصدقاءه، الذين يجلس معظمهم الآن أمام الموقع، ولم يترك أحدهم أي تعليق... قال لنفسه أنهم ربما لم يروها بعد، فقرر أن ينتظر وهو يقرأها ثانية للمرة الحادية عشرة...

* * * * *

لأنها كانت جالسة، لم ير (ياسين) تنورة (سارة) القصيرة، إلا عندما كان ينظر إليها وهي تنقل السرعة... وعندما ركز، أدرك أنها ترتدي جوارب خفيفة وشفافة تماماً، مما أظهر ساقاً بيضاء ناعمة، وبداية فخذ يشير بالخير إن ظهر منه أكثر...

بجانب عينيها ومقنته بنظرة، ثم قالت باسمه:

- إلى ماذا تنظر؟!

نظر إليها لحظة... لم يدر فيها ما يقول، ثم ابتسم قائلاً:

- كنت أعتقد أن الجو بارد، فتعجبت أنك ترتدين ملابس خفيفة، وتنتقلين بالعربة بسرعة وهي مكشوفة، أثار هذا فضولي ليس أكثر...

صمتت لحظات طالت، ثم قالت بلمهجة شاردة:

- أنا لا أشعر بالبرد إطلاقاً... ولا أشعر بشيء أصلاً...

ثم نظرت له وقالت باسمه:

- كيف لا يشعر شخص بأي شيء، على الإطلاق؟!

هز كتفيه وقال بابتسامة:

- هناك سائل ما يدعى (الدم)... أسألي عنه، وعن ثقة سيعطيك نتائج باهرة!

ضحكت بشدة، ثم قالت مغيرة الموضوع:

- ما انطباعك عني حتى الآن؟!

لم يتوقع السؤال، لكنه فكر قليلاً، ثم قال:

- لا أدري، لكنك لطيفة!!

- فقط؟!

قالتها مستنكرة، فرد:

- لماذا لا نغير اللعبة... تسأل سؤالاً لكل منا، على أن يكون الرد مختصراً

الصراحة...

قالت بحماس:

- موافقة... لتبدأ أنت...

قال وهو يريح رأسه على المقعد، كأنما يتوقع إجابة طويلة:

- من أنت؟ بكل تفاصيل حياتك.

* * * * *

" لا بد أن تخبرني باسمك على الأقل"
قالتها (يسرا) مبتسمة، وقد شعرت بانطلاق وحماس وراحة، بعدما قررت
هذا القرار المجنون، في حين رد عليها الصوت قائلاً بهدوء:
- ولماذا؟! ... ما أهمية الأسماء في شيء؟!
ضحكت بصوت عالٍ وقالت:
- أعتقد أن ما سنفعله يحتم علينا أن نعرف أسماء بعض ...
تساءل:

هل فعلت هذا من قبل؟!
قالت مبتسمة:
- بالطبع لا ... لكنني رأيت ما يفعلون في فيلم أجنبي ...
فرد الصوت باسمًا:
- هل تتفرجين على تلك الأفلام؟!
قالت:

- بالطبع لا أيها السخيف ... دائمًا أفكاركم قدرة هكذا؟! ... إنه فيلم
أجنبي عادي، لكن فيه لقطة أو لقطتان ...
تساءل:

- هل كينات عامة تحبين مشاهدة تلك اللقطات؟!
صمتت لحظة مفكرة، ثم قالت:
- معظم الفتيات المصريات يشعرن بالاشمئزاز ... والأقلية من تعجبهن هذه
اللقطات أو تلك الأفلام ...
والصراحة أنا أيضًا أشعر بالقرف الشديد، فمن وجهة نظري أن الرجال
يجبوا لأن في النهاية، هناك امرأة عارية في الموضوع ... لكن نحن كفتيات لا
يفرق معنا هذا الموضوع لأننا أيضًا نساء، فلا شيء جديد ...
ضحك الصوت، ثم قال بهدوء:

- ولا يثيركم شيء في جسد الرجل؟!
قالت وهي تهر كتفها:
- لا ...
قال بلهجة خبيثة:
- حتى ...؟!
فهمت ما يريد، فقالت وقد شعرت بلا مبالاة جعلتها تقول ما تريد دون
تفكير:

- حتى هذا ... شيء مقزز وشكله مقرف ولا يثير غلة ... الرجال جسدهم
أصلًا يشبه القروود في أشياء كثيرة؛ جسد مشعر .. كرش كبير، ضخامة لا معنى
لها، حتى في الشيء الوحيد الذي يميزهم .. بشاعة - وبالنسبة لنا - لا تصدق ...

ثم صمتت لحظات مفكرة، ثم قالت ضاحكة:
- حتى القروود تمتاز عنهم بأن لديها مؤخرة حمراء جميلة ...
ضحك الصوت بشدة، فضحكت هي أيضًا، في حين تساءل مبتسمًا:
- إذن ما الذي يثيركم؟!
قالت:

- شيء لا تستوعبوه .. أنتم الرجال، مهما أخبرناكم به .. لمسة يد حانية ...
نظرة حب حقيقية قد تجعلني أطير في السماء، حضن دافئ ... إننا نتحرك
بمشاعرنا ... قد تثيرني جدًا كلمة أحبك ...

على الفور قال الصوت:
- أحبك جدًا على فكرة ...
ضحكت بملء فمها، فقال بهدوء:
- مستعدة؟!
أراحت جسدها على الفراش، وقالت بلهجة مازحة:
- ليس قبل أن تخبرني باسمك ...

قال بإصرار لم تفهمه:
- لا... قلت لك قبلًا... لا قيمة للأسماء...
ولم تفهم لماذا في حين قال:
- مستعدة؟

ثالث الساعات

الثانية صباحًا

نظر (أحمد السيد) بحزن إلى حالته العاطفية، والتي غيَّرها في الـ
(facebook) إلى مرتبطة، وزفر في ضيق، عندما وجد تعليق صديقه (سلمى)
المقضب (مبروك)...

هو في معهد هندسي، بعيد السنة الثانية، بعدما أعاد أول سنة أيضًا...
خرج إلى الشرفة ليطربه الهواء البارد في صدره، لكنه لم يعبأ، وهو يخرج
سيجارتته، ويشعلها، لينفخ دخانها كأنما يخرج كل ما بداخله في هذه النفخة...
كم يفتقد (سلمى)...

كم يحبها...
تذكر في وسط غضبه، كيف عرفت أن تخطفه من الدنيا كلها، تمرحها،
وهدوئها، ونظرتها الساحرة...
تذكر كم شعر بالعجز، عندما لم يستطع اخبار تلك الفتاة الرقيقة التي تصغره
بعامين لكن بسبب فشله.. أصبحت في السنة الدراسية نفسها... ولم يستطع
اخبارها بكم يحبها ويقدرها ويريدها كزوجة...
كم يقتله عجزه هذا كل يوم...

لكنها - رغمًا عنه - دخلت حياته... وأصبحت تحكي له كل شيء...
كان داخله قد أصدر قرارًا أن يبعدها عنه تمامًا، أو يتعد عنها تمامًا، لكنه

ضعف بشدة عندما وجدها تحكي له وتثق به...

لكنه عاد وتذكر قراره...

ففعل كل شيء بمكته، كي يجعلها تكرهه...

وصدمت (سلمى)...

صدمت عندما رأت ذلك الشاب الهادئ الطيب، يفعل كل شيء تكرهه في صديق، كأنما يخبرها صراحة أنه لا يريد لها أبداً... حتى ولو صديقة...

زفر دخان سيجارته بقوة أكبر، كأنما يلعن نفسه لتفكيره في هذا...

وأثمرت خطته ما أراد...

وانبعدت عنه تماماً...

فتحطم...

قطع أفكاره صوت رنين هاتفه، لكنه نظر للأسف، وحلق قلبه في قوقعة...

كان اسمها...

(سلمى)...

* * * * *

اتسم (أحمد العاصي) في هدوء، وجبينه يتصبب عرقاً، ثم أشعل سيجارة في استمتاع، ثم فتح نافذة (ريم) وكتب لها:

- عدنا...

وانتظر فترة طويلة ولم يجد رداً، فكسب لها ثانية:

- (رامي)...

فكسب له:

- ماذا تريد؟

عقد حاجبيه، وهو يعتدل في جلسته، وكتب:

- ما بك؟

طال صمتها هذه المرة، ثم كتبت:

- ماذا تريدني أن أشعر، وأنا أعلم ماذا كنت تفعل منذ ثوانٍ... أنا في قمة استنزائي منك الآن...

اتسم في هدوء وكتب:

- هل كان سيفرق معك إذ أخبرتك أنني كنت أحفظ القرآن مثلاً؟ هل كنت ستحرميني لحظتها؟

كتبت جانقة:

- لقد مللت هذا المنطق المتعوي... الكذب عليّ أكرهه، لكن تلك الصراحة المطلقة تضايقني أيضاً...

- إذن لماذا تحتملها؟... أنت تعرفين أن هذا أنا، ولن أغير مهما حدث...

- أنت لم تكن هكذا أبداً... أنا أعرفك...

ثم توقفت عن الكتابة مترددة، ثم لم تلبث أن حسمت أمرها وكتبت:

- حدث هذا منذ وفاة والدك والفتك في ذلك الحادث...

شعر بالغضب لثوان، وكتب بسرعة:

- (رامي) ... لا داعي لهذا...

كتبت دون أن تشعر بغضبه:

- كنت شاباً محترماً... وكنت مثلاً جميلاً لشباب في السابعة عشرة... ثم

حدث ما حدث... وبدأت في التغير... أصبحت تشرب السجائر... تركت

جامعتك باختيارك ولم تحضر أي محاضرات من أربع سنوات... أصبحت تعشق

(الاباحه)... كل هذا وكنت أقول لنفسك إنك لم تطرف صعب لا يتخيله أحد

في حياته... لكن ها أنت ذا، بلا أي أصدقاء إلا أنا وبعض الأصدقاء (الزبالة)،

تجلس معهم على القهوة... شاب في الواحدة والعشرين من العمر، بلا أي

حياة...

وعندما جاوبها صمته التام، تفرقت دموع في عينيها:

- أنا أخاف عليك... أنهار كل يوم عندما لا أجدك تتقدم خطوة واحدة...

يا (عاصي) أنت لا تعلم أنني...
وتوقفت عن الكتابة لحظة، ثم كتبت:
- أحبك...

خفق قلبها بسرعة وهي تنظر إلى نافذة الحوار، وكاد قلبها يقفز من مكانه...
ثم ظهرت رسالة... تقول:
"آخر رسالتين لم تصلا... بسبب عدم تواجد الطرف الآخر... قد يكون
خرج من المحادثة... أو حدث له (انقطاع اتصال)..."
فالتسابت دموعها أكثر...
وأكثر...

* * * * *

"أنا يا سيدي الفاضل، اسمي (سارة أحمد)... والدي هو (أحمد محمد
أبو لمونة) رجل الأعمال المعروف..."
قال (ياسين) مندهشاً:
- أنت ابنة (أحمد أبو لمونة) صاحب أكبر مصانع بلاستيك في العاشر من
رمضان؟!...
أومأت برأسها أن نعم في هدوء، ثم قالت مندهشة:
- المثير للعجب أنك تعرف هذا... فهو غير مشهور إلا للكبار فقط، فكيف
تعرفه أنت؟!
ابتسم قائلاً:

- أنا مهندس كيميائي... قدمت لأعمل هناك في هذا المصنع، وقالوا إنهم
سيردون علي في غضون شهرين...
- وماذا حدث بعدها؟!...
هز كتفيه وقال مبتسماً:

- اكتشفت أنهم لم يحددوا أي سنة... فقد مر عامان دولة...
ضحكت رغم أنها ثم تساءلت:

- وماذا تعمل الآن؟

- عاطل منذ عامين ونصف تقريباً...

ثم أشار لها أن تكمل ما بدأت، فأكملت:

- توفيت والدتي وهي تلدني... فرعالي أبي بخنك مبالغ فيه... يصرف علي
بسخاء... رغم أنه تزوج مرتين أو ثلاث بعدها، إلا أنه دائماً ما يمرّ علي في
شقتي، ليسأل عني أنا والدادة (سوسو) التي تعتبرني ابنتها... وتقيم معي بصفة
دائمة...

ارتفع حاجباه في سحرة وهو يقول:

- اسمها (سوسو)؟

ضحكت وقالت:

- (سوسو)... لكن (سوسو) أسهل كما ترى... المهم... خريجة (إعلام)

قسم صحافة... أعمل الآن كاتبة في مجلة شبابية تصدر في مصر...
قال في هدوء:

- رائع... ربنا يوفقك...

قالت في حماس:

- دورك... من أنت؟

قال باسمًا:

- (ياسين المصري)... أبي عادي وأمي عادية وأنا شاب عادي، تخرجت في

جامعة القاهرة بتقدير (جيد)... هندسة كيميائية... لا أجد عملاً... ربما لأنني

ليس لدي واسطة في أي شيء...

قالت مبتسمة:

- فقط؟!...

قال باسمًا:

- قلت لك، حياة تقليدية وعادية جدًا...

ثم سألتها، معلناً دوره في لعبتهم:

- هل أنت مرتبطة؟!

أصدرت العربية لحظتها حشجة غريبة، ثم خفضت سرعتها كثيرًا، فأخذت (سارة) تحاول أن تريد سرعتها ثانية، لكن هيهات، فصرخت:

- ماذا حدث الآن؟!!

قال (ياسين) في هدوء:

- (البنزين)... متى زودتها آخر مرة بالوقود؟

قالت وهي تنظر له، والعربية تخف سرعتها تدريجيًا:

- أول البارحة...

قال وهو يشير إلى نور مضيء في التابلوه وقال:

- هل كانت هذه الإشارة موجودة منذ فترة؟!

أومات برأسها أن نعم... فقال باسمًا:

- إنه نور انخفاض الوقود... لقد نفذ وقودك...

احمرت وجنتاها خجلًا، والعربية تقف في هدوء... في وسط طريق السويس...

الساعة الثانية صباحًا...

* * * * *

"أأنت مجنونة؟!!"

قالها (مصطفى) لـ (أمل) في غضب...

نظرت إليه. وهي تعلم أنه لن يفهمها أبدًا...

لن يفهم أنها... هي شخصيًا... لا تريد أن تحبه...

لا تريد أن تسامحه...

لا تريد أن تشعر كل يوم أنها خائنة...

بل انها تموت في اليوم عشرات المرات في كل مرة تفكر في (أمن)، وتقتل عندما تقول لـ (محمد) أنها تحبه. وتكون بداخلها تقولها لـ (أمن)...

لكنها لا تستطيع أن تنساه...

وكيف تنساه؟!!!

كان أول حبها، وأول حلم في حياتها، وأول لمسة يد، وأول كلمة حب...

إنه لم يتم معها، ولكنه فعل ما هو أكبر...

لقد أدخلها في الحب بكرة لا تعلم شيئًا...

فأصبح هو كل شيء...

انها تحاول أن تنساه في اليوم عشرات المرات...

تقول لنفسها إنه خائن... حقير... وتذكر نفسها بالألم الذي شعرته عندما

تركها وحيدة في حفل خطوبتها... تتذكر كيف كرهته، وكرهت نفسها...

ثم اكتشفت أنه تزوج في الليلة نفسها التي كانت قررت فيها أن تسامحه...

عندما اكتشفت أنها لن تستطيع الحياة بدونه...

وانهارت أكثر...

لكنها رغم كل هذا... وجدت أنها تسامحه...

قلبها هو الذي - رغمًا عنها - يسامح، ويشاق له...

لا يعلم (مصطفى) أنها هي من كلمته بعد زواجه وليس هو...

لا يعلم أنه - ذات يوم - وجدها واقفة تحت بيته، فقط لتنظر إلى شقته من

بعيد، ورآها، فأخبرته أنها افقدته...

لامها كثير من أصدقائها، بل كانوا في بعض الأحيان يهددونها باخبار (محمد)

خطيبها إن لم تتوقف عن جنونها هذا...

لكنها لم تستطيع...

وصارت صديقه...

صار يحكي لها، وهي تسمعه، سعيدة فقط أنها قريبة منه، دون أن يعلم

(محمد) شيئاً...

(محمد)...

ذلك الشاب الطيب، ابن خالتها، الذي انتظر بعد نكبة خطوبتها بعام، ليخبرها أنه يحبها منذ أن كانوا أطفالاً... وأن حلم عمره أن تقبل به زوجاً... وأنه يعدّها أنه سيسعدّها بكل ما فيه من قوة...

وقبلت...

وكان رائعا معها... لا تكاد تتمنى الشيء - مهما غلا ثمنه - إلا ووجدته

أمامها.. يهديها إياه...

كم هو حنون... كم هو رائع...

لكنها لا تستطيع...

دق جرس هاتفها، لتجد اسم (محمد) فنظرت إلى (مصطفى) الذي كان ينظر

إليها، ثم قال وهو ينهض:

- إنه لا يستحق هذا منك...

بدأت دموعها تنسال، في حين قال (مصطفى) وهو يشيح بوجهه عنها:

- إنه يستحق من هي أفضل منك بمراحل...

وانصرف وهو يغلق الباب خلفه في عنف...

ردت على (محمد) بصوت باك:

- آلو...

ووجدت صوته الحنون يقول:

- أحبك...

انهارت في البكاء رغماً عنها، فقال بصوت دافئ:

- أنا آسف... كنت في قمة غضبي، فلم أدري ما أقول...

لم تستطع أن تنطق بكلمة، فقال ثانية:

- أحبك...

وظلت تنكي... كما لم تنك من قبل...

لم يرد عليها (أحمد السيد)...

ظل ينظر إلى اسمها، لكنه لم يرد...

(سلمى)...

رغم أن خطته لمحت، والبعدت عنه (سلمى) تماماً، وقضى أكثر من شهرين في حياته عذاباً، إلا أن أحداً لم سعوا بشدة للمصالحة...

وتصالحا...

وعادت مرة أخرى إلى حياته...

ورغم عذابه من بعدها، إلا أن عذابه أخذ يتضاعف من قربها...

كثيرون قالوا له لماذا لا تخبرها والسلام؛ لتستريح من كل هذا، فإن وافقت،

تحتل معك حياتك وتضرب... وإن رقصت، فسيتهي العذاب...

لكنهم لا يعرفون... ولا يفهمون...

إنه - في نظر نفسه - فاشل...

فشل في حياته، فشل في مجموعته، فشل في معهده الهندسي...

إنها تستحق شخصاً أفضل بكثير...

كيف يرضى لها أن تصبح معه في مستقبله وهو لا يرى مستقبلاً!!

كيف يعرف أنه - أصلاً - سيصبح زوجاً ناجحاً؟

كل شيء مارسه فشل فيه، فكيف يضمن أن ينجح معها...

لن يجعلها أبداً ترتبط برجل هو نفسه لا يراه داخله...

كرامته تأبى تماماً...

حتى حدث هذا الموقف...

عندما أتى (مجدي) - صديقه - بأبن عمه الذي يبحث عن عروس...

وأعجب ابن عمه به (سلمى) جدا، وعندما قال هذا لـ (محمدي)، أخوه
(محمدي) أن (أحمد) يريد بها...
ونارت ثائرة (أحمد)...
وتشاجر مع (محمدي) مشاجرة كبيرة...
فكيف يجعل (سلمى) ملكا له، ويضيق عليها تلك الفرصة مع رجل ناجح
وشاب رائع، يملك شقته وعمله الرائع؟؟
وكيف يجعل من (سلمى) شيئا ملكه، وهي لا تعرف، وهو أصلاً لم يختبرها!
وهنا صدر القرار داخله...
ذهب في اليوم التالي إليهم، مرتدياً دلة قديمة لأبيه، وأخبرهم جميعاً أنه
خطب...

خطب (فاطمة) بنت عمه في البلد...
ورغم صدمتهم، وعدم تصديق (سلمى)... إلا أن الكلام انتهى...
لم يعد أحد يعتبر (سلمى) له...
غير حالته العاطفية المرتبطة...
ولهذا لم يرد على (سلمى)...
وبدأت تنساب على خده دموع وهو يتذكر...

* * * * *

مرت أكثر من ساعتين، ولم يجد (إسلام الحسيني) أي تعليق على ما كتب...
هل عجزوا؟!
هذه مقالة جميلة، تتكلم عن حب مصر... وكيف تحول هذا الحب إلى شيء
بلا معنى ولا معالم، وأصبح مجرد كلمات فارغة...
كيف تحاملوا؟!
خطرت في عقله فكرة ما...

فتح مقالة جديدة، وكتب عنوانها...
"عن عاهرتي"... قصة قصيرة...
وبدأ يكتب...

* * * * *

خطرت فكرة مرعبة في عقل (يسرا) عندما أصر على عدم ذكر اسمه، وقالت
لخطتها في قلق:
- هل تعرفني؟! أنت من طرف (أسامة)... أليس كذلك؟!
سمعت ضحكته، فطلعت على فلقها، في حين قال الصوت:
- ما الذي جعلك تظنين هذا؟!
قالت متوترة:
- إصرارك على عدم ذكر اسمك... وأسئلتك... هناك شيء غير مريح...
قال الصوت ضاحكاً:
- لا تقلقي... أنا لا أعرفك... ولا أعرف اسمك... لا أعرف في حياتك
إلا اسم (أسامة) الذي كررتيه كثيراً...
قالت بقلق:
- كيف أثق بك؟!
قال ببسمة:
- وكيف أثبت لك؟!
قالت بسرعة:
- احلف... واذكر لي اسمك...
ضحك هذه المرة بشدة، ثم قال:
- إذا كان على الخلق أن أقسم بالله العظيم أنني لا أعرفك ولا أعرف شيئاً
عنك... أما عن رقصي لذكر اسمي، فهو أنني أجدها وسيلة سطحية جداً لأن

تعرف إنساناً ما، ما قيمة اسمي؟ وما الذي يثيرك عني إن قلته؟ إنني حتى لم أختاره... فكيف لي أن أقبل العيش بشيء لم أختاره لنفسي، بل اختاره لي أناس آخرون؛ لتخليد ذكرى شخص آخر كمجدي أو عمي أو خالي... بمشهي البساطة... أنا لا أعترف بالأسماء، ولو لاحظت فانا لم أسألك عنه حتى الآن...

بدأت ترتاح ثانية، ثم قالت باسمه:

- أنا أصدقك الآن...

قال باسمًا:

- لماذا؟

قالت وهي تضحك ساخرة:

- لا أحد أعرفه يقول هذا الكلام العميق... رغم عدم اقتناعي بما تقول... إلا أنه يبدو عميقًا...

ثم قالت باسمه عندما لم يرد:

- كم عمرك؟!

واستدركت بسرعة:

- ولا تقل لي: إنه ليس من اختيارك وهذا الكلام الفارغ...

ضحكت لحظة، ثم قال:

- خمسة وثلاثون...

ارتفع حاجباها في دهشة، وقد توقعت أن يكون أصغر، لكنها قالت باسمه:

- أنا عمري أربعة وعشرون... في عمر ابتك لو أنك تزوجت وأنت في الحادية عشرة...

ضحكا، وقال:

- لم أكن قد بلغت بعد... بلغت بعدها بعامين...

ارتفع حاجباها وهي تقول ساخرة:

- لم تخبرني باسمك وتخبرني بميعاد بلوغك؟!... لا أدري ما أقول حقًا...

وانطلقت ضحكاتهما العالية مملأ المكان...

"كيف يستهزئون بالدين إلى هذا الحد؟!"

قالتها (أمية محمد) وهي تنظر غامضة إلى صفحة (الله) الذي يدعو فيها ذلك الأحقق الناس أن يعبدوه...

إنها لا تصدق أن يصل الجهل والصفافة والإلحاد إلى هذا الحد...

إنهم يشركون بالله صراحة وعلانية...

شاب أحرق، أراد أن يقجر قبلة شهره وسط الناس، فكتب تلك الصفحة لجعل منها حديثًا وسط الناس كلها...

والمشكلة ليست فيه...

المشكلة فيمن يشتركون في تلك الصفحة...

ما بين (أحمد) و (مايكل) و (رشيدة)...

هل ضاع الدين إلى هذا الحد...

إنها لا تتخيل...

كانت تحارب بكل ما تملك؛ فهي من أنشأت (جروب) مقاطعة الصفحة ثمًا وطلبت من إدارة الـ (facebook) أن تحذفه... وعندما لم تجد صدى لتلك الدعوة انضمت إلى جروب مقاطعة الـ (facebook) نفسه في يوم محدد؛ اعتراضًا على وجود تلك الصفحة...

"أستغفر الله العظيم"

قالتها ثانية، وهي تجد أن من اشترك معها ومع الجروب الآخر لا يريد عددهم على مئتين، بينما انضم إلى تلك الصفحة اللعينة ستة عشر ألف مشترك... طوال عمرها، لم ترض أن تخوض أي معارك... لا تجادل في الدين مع كثير

من الحقى الذين يسهون الدين، ويجعلونه ذقناً وشارباً فقط، ولا أخلاق ولا
عمق ولا أي شيء...
حتى عندما سب الرسول - عليه الصلاة والسلام - لم تشارك في شيء ولم
تحب أن تتحدث كثيراً في هذا الموضوع، فقط حولت جزءاً من دعائها على
ذلك الرجل في صمت...
طوال عمرها تسير في سلام، (بجانب الحديقة) كما يقولون...
لكن إلا هذا...
إلا الله عز وجل...
رغمًا عنها وجدت كيائها يصرخ...
لا...
لا وألف لا...
واعتبرتها قضيتها...
وستظل تحارب حتى تغلق تلك الصفحة...
ولن تستسلم أبداً...

رابع الساعات

الثالثة صباحاً

أشار (ياسين) إلى إحدى العربات كي تقف، لكنها تجاوزته بسرعة... فنظر إلى (سارة) التي كانت تجلس في العربة وقال:
- مرت ساعة ولم يتوقف أحد...

تظرت إليه مشفقة؛ فقد كان يرتجف بردًا بسبب ملابسه الخفيفة في هذا الطقس البارد، فقالت له مبتسمة:
- لماذا ترتدي ملابس خفيفة هكذا؟
قال لها:

- لقد نزلت من بيتي كي أشتري بعض السجائر... في أبعد أحلامي لم أكن لأتوقع أن أكون بعد ثلاث أو أربع ساعات على طريق السويس أشير لأي عربة كي تقف، فلك أن تعذريني...
كانت قد أغلقت سقف العربة، وأغلقت الزجاج إلا من فتحة صغيرة تحده منها في حين يقف هو في الخارج منتظرًا...
قالت له:

- ادخل العربة كي تشعر بالدفء قليلاً...
هز رأسه في إصرار أن لا، وهو يتجه مسرعًا إلى الطريق، حيث كانت عربة مسرعة تسير، وكاد يقفز أمامها من فرط حماسه وهو يشير إليها، لكن العربة

تخلو به مسجده، وركب الأعراس في حشره في حين ضحكته هي دغشا من
 نظر إليها خطت ثم ألمه إليها قتلاً بالسيف:
 - للأسف لا توجد وسيلة أخرى -
 قالت مسائلة:
 - ماذا تفعل؟
 فتح بابها وقال بالسيف:
 - قتلي -
 نزلت في تسلل، فالتفت إلى الطريق قائلاً بالتسامة:
 - ستفقد أنت العربة -
 سمعت خيلها في دغشته فقال في السيف:
 - ضعي نفسك مكان الناس، إلى من ستقفون في الثالثة صباحاً. فتاب إلى
 وركض في حماس، لم تده حيلة تفكر بل واليرة الإضافية أنها تركض ما
 تركض!!
 اعتقد حاجبها في ضيق من كلمته، لكنها انصرفت لتتلف على الطريق في
 هتاج، ولم تلبس خمس دقائق حتى وقفت عربة فخمة أمامهما بقليل، لتطير
 (أسارة) إلى (ياسين) الذي هو كنفه وقال:
 - منه هي مصر يا (ميلة).
 ضحكته وقالت له:
 - لم تكن (عربة) منذ قليل؟
 رجعت العربة حتى وقفت أمامهما بالضيقة، ليخرج منها شاب وسيم، وهو
 يقول:
 - هل هناك مشكلة؟

* * * * *

نظرت الممر إلى شاشة الهاتف لثمة (السماء) تصل في سكرته أخرى.
 وفرت في ضيق، وقالت بصوت:
 - (السماء) بكنتم -
 ثم ورد عليها، فقالت:
 - انت معي لحظة واحده -
 وضغطت زر تحويل الشاشة لثمة - الأول ما تفتد - صوت (السماء) العاصف
 يقول:
 - مع من تتحدثين؟
 قالت في صوت ملول:
 - مع زعيم صديقتي -
 قال بالهزة العاصفة نفسها:
 - ولماذا تتحدثون في هذا الوقت المتأخر؟
 ضحكته، وفرت في ضيق ثانية، فقال بصوتها:
 - لا أحب الفتيات اللاتي يتحدثن في الهاتف في أوقات متأخرة -
 قالت له كي تنسبه ما يقول:
 - كنت أتحدث معها كي أخرج غذاءاً لأشكري ملائمتي الخجابه -
 ضمت لحظة غير مصدق، ثم صاح ونبرة صوته تغير ثباتاً:
 - مبارك... هناك الله أخيراً!!
 قالت منسمة:
 - أجل هداي الله أخيراً... فكيف كنت أعتني في الطريق مطلقاً شعري
 هكذا، مثيرة نصف رجال مصر.. في حين أنه يمكنني أن أتحدث ولا أكون أحياناً
 على الإطلاق...
 لم يلحظ السخريه في صوتها، وهو يقول في حيرة:
 - بالعكس تماماً.. عندما تتحدثين تصبحين أكثر إثارة بكثير لأن الرجال
 تحب الشيء المحجوب عن الشيء الواضح المكشوف...

صمت لحظات غير مصدقة، وكادت تشد من شعرها وتصرخ: (لماذا لم
أردت أن التحجب)، لكنها كتمتها في نفسها، وضحكت ضحكة عجيبة
حين قال هو في سعادة وفخر:
- لا داعي أن تشكريني يا حبيتي... أنا مجرد وسيلة... ولست السبب.
قالها في تواضع، فصمت لحظة، ثم قالت بحسم:
- صحيح يا (أسامة)...

قال لها باسمًا:
- ماذا يا حبيتي؟!

قالت - بشماعة نوعًا - باسمًا:
- لا يصح أن تكلمني بعد العاشرة مساءً... ولا يصح أن تمسك بيدي...
الآن... لا أستطيع أن أخرج معك وحدنا... لا بد من وجود - على الأقل -
سنة أشخاص معنا... لا تقل لي أي كلام رومانسي؛ لأنك لست روجي...
ارتبك لحظات وقال:

- ماذا تقولين؟!... إننا مرتبطون ونحب بعضنا...
قالت مبتسمة:

- ألم تسمع آخر الأخبار؟!
وحينما لم يرد قالت بصرامة:
- الارتباط حرام... كسيري دون حجاب تمامًا...

* * * * *

خواتم

شعر (أحمد العاصي) بهذا بعد ما قالت له (ريم) ما قالت...
"لماذا يا (ريم)؟..."

قالها لنفسه، وهو مستلق على الفراش، بعد ما أغلق جهازه تمامًا...

أربع سنين مرت عليه دون أن تتحرك حياته خطوة...
وأروع شيء اكتشفه في تلك السنين، هي سياسة الهروب...
عندما يأتي في عقله أي شيء من أوجاع واقعه... يهرب...
كلما تذكر أي شيء... يهرب...
يشاهد أفلامًا جنسية... يلعب قليلاً... يخرج مع أصدقائه... يفعل أي شيء
يجعله يتعد...

هو يعمل بالغا في مكنته كبيرة، يترقب شماعة حبه في الشهر، يجعله يعيش
دون أن يكون غيبًا على حاله، غير المتزوج، الذي رعاه في بيته بعد الحوادث
الكبرى...

قطع أفكاره عنوت هاتفه، ليحد (ريم) فرد عليها ليحدها تقول:

- آسف...

اتسم في هدوء، وقال:

- لا تأسفي علي شيء... أنت طوال الوقت على حق يا (رومي)...

قالها وصمت، فقالت:

- لا تصمت هكذا... ليست عادتك...

اتسم في هدوء ولم يتحدث... فقالت بمرح:

- حسًا... لأول مرة في حياتي، سأخبرك بكثرة أبحاث... عسى أن تتحرك
قليلاً...

لم يعلق، فتناحنت في حرج، ثم قالت:

- واحدة من إياهم، أحببت، فأطلقت على ابنها اسم (بهيح)...

اتسم ابتسامة هادئة... فتناحنت بحرج ثانية، وقالت:

- واضح أنها سخيقة...

قال باسمًا:

- لا... هي قديمة فقط...

صمت لحظة مفكرة، ثم قالت بحماس:

- هذه جديدة... واحد صعيدي تزوج، فأخبره أبيه أنها إن كانت عذراء،

سيعرف به...

قطعت حديثها في خجل، ثم قالت:

- أنت تعرف كيف يعرفون أنها عذراء فلا داعي لقولها...

ضحك من خجلها، فأكملت:

- المهم... وقال له أبوه إن لم يحدث هذا فاقتلها على الفور...

مرت أول ليلة بسلام... ثم قتلها في اليوم التالي...

ضحك ضحكة خفيفة، فقالت بضيق:

- هل هذه قديمة أيضًا؟

قال باسمًا:

- أجل... لكن أسلوب إلقاءك رائع...

قالت بضيق:

- حسنا... دودة وقعت في طبق مكرونة (اسباجيتي)، فصاحت مندهشة

(يا لفرحتي... سكس جماعي!!)...

ضحك هذه المرة بشدة... فضحكت معه...

* * * * *

"(محمد)... أنا لا أستطيع أن أحتمل..."

قالت أمل بصوت باك... فتساءل (محمد):

- تحتملين ماذا؟!

كانت تحاول التماسك، لكن صوتها ضعف رغماً عنها وهي تقول:

- أريد الانفصال...

انعقد حاجباه، وساد الصمت لحظات طوال، قالت بعدها (أمل):

-(محمد)...

تساءل:

- ماذا قلت؟!

قالت وهي تمسك الهاتف بقوة ولا تدري لماذا:

- لا أستطيع أن أكمل حياتي معك...

تساءل بهدوء غريب:

- هل أخطأت في شيء معك؟... هل أعاملتك معاملة سيئة؟!

قالت بسرعة:

- لا... لا بالطبع...

ثم ضعف صوتها وهي تكمل:

- المشكلة في أنا... فأنا لا أعطيك حقك...

قرة بالصوت الهادئ نفسه الذي لا يعبر عن شيء:

- أعتقد أن هذا شيء متروك لتقديرى أنا... أنا من أقول إن كنت مقصورة

معي أم لا...

بدأت دموعها تنساب ثانية، في ليلة بكّت فيها عشرات المرات وهي تقول:

- أنت لا تفهم شيئاً...

- إذن فهميني...

صمت تمامًا هذه المرة...

كل ذرة في جسدها تصرخ.. لا تخبريه...

لكن صوت ضميرها كان أعلى...

قالت وصوتها يرتجف:

- أنا لا زلت أكلم (أيمن)...

أطبق صمته هذه المرة على صدرها بثقل غريب...

وبعد ما يقرب من دقيقتين من الصمت، دوى سؤاله كطعنة في جسدها:

- ما زلت تكلمينه فقط؟... أم ما زلت تحببته أيضًا؟!

هطلت دموعها كأمطار ليلة عاصفة، ولم يطاوعها صوتها أن تجيب...

إلا أن حسنتها أحاب عليها...
أحباب عليها تماماً...

لم تهدأ أمنية لحظة واحدة...
انطلقت عبر (الإنترنت) تصنع كل ما يمكنها من مقالات حامية، ثم تأخذها
وتشرها على الـ (facebook)
كمقالات...
كانت بعض المقالات دينية، وبعضها سياسية كتبها أكثر الكتاب الصغار
في المعارضة، وبعضها إنسانية.
شيء ما يحرّكها حتى تفعل كل هذا...
كانت دائماً تشعر أنها بعيدة عن كل ما يحدث حولها... يوم الانتفاضة
الغريب لم تشارك في أي مظاهرة؛ لأنها شعرت أن هذا في بلد آخرى... كل
تلك القسوة والدم والشهداء لا يحدث لهم... بل لأناس آخرين بعيدين عنها...
وعندما ظهرت مظاهرات (كفاية) في الانتخابات، وجاء فتوات يضربون في
الرجال والنساء والشيوخ دون تمييز، كأنما هو احتلال آخر على مصر، عرفت
تماماً أن هذه أيضاً ليست بلدها ولا وطنها إن ثمرت أو قالت رأيها يوماً...
وأنها ضيفة فيها حتى تموت... بل وليس لها حتى كرم الضيافة... فقط اجلسي
مكانك صامتة...
فصمت...

هي خريجة كلية (حاسبات ومعلومات) تخرجت في أربعة أعوام بتقدير
(جيد جداً) لتخرج إلى عالم غريب لا يعرف أحد فيه شخصاً إلا للمصلحة...
ولم تحارب أيضاً...

جلست في بيتها تستخدم أباها وأُمها في هدوء، كأنما لا تريد أن تقاوم أي
مقاومة تذكر، وتفعل كل ما يطلبه منها المجتمع كما في الكتاب...
قبل لها إن دورها الآن أن تنتظر العرس... فانتظرت...
تخبر كل حفلات الحفوة والزواج لأصدقائها، فتقف في هدوء وتصفق
بمسحة، ولا ترفض ولا تصحك لأن هذا - كما قيل لها - برخص من البتة
فلا...
فلا...

ثم رأت الليلة تلك الصفحة على الموقع...
وثارت داخلها ثورة الدنيا...
كل تلك الشين من العنت والتفيل، تجمعت في هدف واحد فقط...
إغلاق تلك الصفحة...
انصبت في سعادة حقيقية، وهي ترى تلك المقالات القوية التي نشرها
والتي جعلت العديد من صديقاتها يتحمسون ويلقون تعليقات حساسة
حفظتها تشعر بالرضا...
إنها الثورة...
ثورتها...

أخذ الشاب الوسيم يفحص العربة، ثم نظر إليهما قائلاً:
- لقد نفذ الوقود...
ابتسم (ياسين) في غيظ وهو يقول:
- كنا نعلم هذا من نصف ساعة مضت... فبدلاً من تضيق وقتنا، أوجد لنا
الحل...
ابتسمت (سارة) في هدوء، في حين لم يلتفت إليه الشاب وهو يتجه إلى

(سارة) قائلاً:

- اسمي (عادل الصاوي)... طبيب أسنان...

قالت (سارة) باسمه في تعجب وهي تصافحه:

- تبدو صغيراً جداً على تلك المهنة...

ضحك في هدوء وقال:

- إنني متخرج من ثلاث سنوات... لكن لي عيادة خاصة في مدينة نصر...

ارتفع حاجباها في النهار وابتسمت، فقال (ياسين) ناظراً إليهما بحس:

- وكيف تحمل تلك الحياة الصعبة بين العيادة والقيادة ليلاً...؟

نظر إليه (عادل) لحظة في عدم فهم، ثم ابتسم قائلاً في غير تركيز:

- ظريف جداً...

ثم التفت إلى (سارة) قائلاً بابتسامة:

- هناك محطة وقود على بعد ربع ساعة بالعربة... تعالي معي لنأتي بوقود.

ثم أعيدك هنا ثانية...

هزت كتفها قائلة:

- لا أريد أن أتعبك معي...

قال باسمًا:

- لا تعب على الإطلاق...

قال (ياسين) لـ (سارة) وهو يتشم:

- (سارة)... هل يمكنني التحدث معك لحظة؟

نظرت إليه متسائلة، فجذبها من ذراعها بعيداً عن (عادل)، وقال لها هامساً:

لكن بلهجة حادة:

- بالله عليك ماذا تفعلين؟!... هل أنت مجنونة؟

قالت له مستكبرة:

- ماذا تقول؟!...

قال لها بحدة:

- الساعة الآن تقترب من الرابعة صباحاً... هل ستركيين مع رجل غريب وحدك.. وفي عربته؟!...

قالت بحدة:

- وما المشكلة؟! إنه يبدو محترماً... وهو يريد المساعدة...

قال وهو يكاد يصرخ فيها:

- يبدو محترماً؟... هذا هو إثباتك؟!...

صمتت وهي تنظر إليه، فأكمل بعصية:

- ثم إنه غير مريح إطلاقاً... بتلك البذلة الفخمة والعربة الأفخم...

قالت يبرود مفاجئ:

- ما المشكلة إذن؟

لم يدر ما يقول فhez رأسه وقال:

- لا أدري... لكن صدقيني... لا يؤدي رجل غريب مساعدة لفتاة ماء،

وبكل هذا الحماس، إلا لو كان يريد منها شيئاً...

نظرت إليه لحظات، ثم ابتسمت قائلة:

- من ثلاث ساعات عرض رجل غريب علي أن يوصلني، ووافقت لأنه

يبدو طيباً وعلى خلق... وجاء معي حتى هنا... ليعترض على وجود رجل

غريب آخر...

ثم قالت بصرامة مفاجئة:

- هما شيان لا ثالث لهما... إما أنك مثله، كنت تريد شيئاً ما مني... أو هو

مثلك... رجل طيب يريد المساعدة...

نظر إليها وإلى عينيها الصارمتين لحظة، ثم قال بحس:

- لك ما تريدين... لكنني سأأتي معكما...

قالت وهي تنصرف عنه:

- لا... لا بد أن يبقى أحد في العربة...

والتفتت له قائلة بلهجة قاطعة:

...إني في الشك في زيادة أن أكون... أنا كبقوة وأستطيع رعاية نفسي...
أريد احتمالاً ولو صغيراً أن تسوق العربات.

قال بصوت:

- إني سأذهب أنا سعيداً.

وانسحب في سحرية، وقالت:

- وتترك ذلك مثلي وحدها وسط الطريق؟

وانسحب ظهرها وانصرفت بهنوء، ليستقبلها (غادل) باستمالة مشرفة، على
نظرات (اليسين) العاصفة الصامتة.

قال لها (غادل) مئة مائة ثم اتجه نحو (اليسين) الذي وقف مستشفاً إلى العربية
وتوقف أمامه وقال متسماً:

- هذا الموضوع جديد جداً عليّ.

نظر إليه (اليسين) في تساؤل، فقال غامراً باستمالة:

- كنت أعتقد في البداية... حتى جئت ووجدتها لم تركب معي... هو كنت
أعوزها لو روجها لو حطبتها لم تركبها ألياً... لكن أعتكما على الشقة
على صرير عذمتكم ثلثاً بالعربة والرفود البعد.

لم يستوعب (اليسين)، حتى سأل (غادل) تاهراً إلى (سلوة) في استنهاض:

- بكم الساعة الآن؟

ولهم (اليسين) كل شيء.

أضحت اليوم؟ الهاتف مع (أسامة) بعد سحار طلاء، ظل يتحدث فيه بمصيبة
صوت قديم من أن حبيبهم هذا خلال، وأمسك اليد ليس زماناً، بعداً قليل من لا
ينظر، وإن التحبب فر من ضيقها، لكن القوم لم يذكر شيئاً عن الإرتباط في الرمن
الحسنة.

فكرت بشيء ما يلتصقها بعدما أغلقت الخط...
ثم تذكرت...

طلبت رقعة في سرعة، لتجده يعلق الككة... ففكرت بالمثل للحطرات لم
يولي جرس هاتفها، لتتسم في سعادة وترد عليه.

قالت متسمة:

- كيف تعلم؟... لم تحس أن لا ألتكم ثانية؟

لما صوت الهاتف الذي أغلقت الرجة التي شعر بها جسداً تسعد:

- أيا أكثر من هذا... كنت مطلق الحرية في أن تكلميني لو كنت كنت بهمة
على شيء.

تذكرت (أسامة) وكلامه فقالت:

- قبل الكلام في أي شيء... أتم أياها الرجل حسن لا تضره على
الإطلاق... عقل صغير وسخافة لا حدود لها.

صحت صيحة قصيرة ثم قالت:

- وألا لا أعتزم على هذا... لكل منا رأي... طفل ما نرى.

عادت واسترخت على فر السجاد، كما تفعل دوماً.

عندما تسمع صوتهم.

تسألت في استمالة:

- قل لي الآن... ماذا تفعلون في تلك الكائنات الخمسة؟

كانت (أمل) ترتجف...
لقد أغلق (محمد) الهاتف معها بعد أن أحواله بكل شيء... منه نصف ساعة
وأكثر... ولم يعلق...
ظل هادئاً تماماً طوال الككة.

كم شعرت أنها حقيرة...
 كم أرادت أن تكلمه بعداه لتخبره أنها أسفة...
 كم تشتاق لسماح صوته كي تشعر بالأمان...
 لكنها جرحته...
 جرح في كرامته، وفي رجولته...
 لم تستطع التحكم في ارتعاف جسدها، كأنها تشعر برود شديد...
 كلمت (محمد) عشرات المرات لكنه لم يرد...
 كل ما تريده، شعرت فجأة أنها تريد سماح صوت آخر، يعطيها الأمان
 صوت (لكن)...
 أمسكت الهاتف في يده، وظلت تنظر إليه...
 لاسم (لكن) ورقمه...
 وكتبت من الشبح، ظلت على هذا الوضع ربع ساعة كاملة...
 ثم حسنت أمرها...
 وضغطت زر اتصال...

خامس الساعات

الرابعة صباحاً

كتب (إسلام الحسيني)...

(عن عاهرتي).... قصة قصيرة...

"صداً ولدت... وجدتها معي... يمكنك أن تقول إننا كنا جيراناً ولكن
بالفقط كانت جميلة جداً..

لكن لا أخبرني لماذا كانت حزينه طوال الوقت، لمحة من الشجن دائماً ما
كانت تلمع في عينيها... كنت أرتاح معها جداً... تحدثت لها كثيراً لكنها فلمما
تحدثت معي... كانت تسمعي أحكي فتجيب بصمتها... لكنني كنت متأكداً
لها تسمعي وباهتمام...

كنت دائماً ما أغبط أصدقائي بها... أشير إليها وأخبرهم أنني صديقها...
والها هي من أحكي لها، وأنتني أعرفها منذ صغري... وكانوا يحسدوني علي
هذا بشدة... وكبرنا... ازداد طولي واشتد عودي، لكنها لم تختلف كثيراً...
أصبحت فقط أنني جميلة يطمع إليها الجميع... حتى جاء يوماً ذلك الجار
الفرنسي... لاحظت أنه أثار انتباهها كما أثار انتباهه... كنت ألاحظ دائماً
نظراته إليها التي تظهر رغبة شديدة... انتظرت أن تخبرني لكنها لم تفعل...

ثم جاء اليوم الذي وجدت فيه ذلك الشاب يخبرنا ويخبر أصدقاءه بفخر
شديد أنه نام معها... وأخذ يصف كيف ذاق من عسلها، حتى ثارت ثائرتنا،

فكيف يتحدث عن فتاة منا هكذا؟ وكيف نسمح له... ففتردناه ضربة مراراً
وطردناه من المنطقة...
وعندما سألتها لماذا سلّمت نفسها له، ومقتني بنظرتها الحزينة، وأطرد
برأسها وهي تنصرف عني...

ثم جاء ذلك الشاب الذي يتحدث الإنجليزية... كان شاباً محترماً الرغبتنا إلى
كثيراً ومنحناه ثقتنا لما يبدو عليه من وقار وأدب...

لاحظنا كلنا أنها بدأت تمشي معه وتضحك، ولا حظنا أنه بدأ ينظر إلى
نظرة مختلفة... نفس نظرة الشاب السابق لها، وانتبهنا جميعاً حتى لا يحدث
ما حدث من قبل، لكن الشاب خالف توقعاتنا، وصارح بأنها أنه يريد
له، ويتزوجها... فرحنا جميعاً لهذا الخبر... كان يعرف ما حدث قبل أن
وافق... وقبل أن تعلق أضواء الفرح، وجدناه يتسم ابتسامة لزجة، ونحو
أنه نام معها مراراً، وكانت راضية ومستمتعة بكل ما يحدث لها... وطول
هذه السنين لم يلاحظ أحد... ثارت ثورتنا ثالية.. ولم نصدق كيف كنا نملك
اليلامة... ضربناه ضربة مبرحاً وطردناه من المنطقة شرطردة... وانفجرت به
صارخاً لماذا تفعل هذا بنفسها؟ لماذا تفعل هذا بنا؟... جاوبتني بصمت تام
ورمقتني بنظرتها الحزينة... ثم انصرفت...

هل كنت أحبها؟؟ لا أدري... هي من تربيت معها وأستريح معها ليس أكثر.
حتى جاء ذلك الشاب المصري... الذي أعلن أنه يريد الزواج منها، ويريد أن
يسترها في بيته رغم أنه يعلم بكل ما مر بها...
وكانت فرحة طاغية، يوم عرسها، رقصنا كلنا وفرحنا، والتمعت في عينيها
لأول مرة في حياتها، نظرة فرح وسعادة...
ثم بعد سنين مات...

مات وتركها وحيدة... لأي كلب ضال ينهش لحمها، واستسلمت هي...

أصبحت أمشي في الشوارع أسمع نأوهاتهما، أسمع أدلي، لأرى جسدها ملقى
على الأرض فوقه رجل عجوز لا يريد أن يتركها أبداً مهما قلومت...
وأصبحت لا أغير أصداقائي عنها...
أصبحت أنفي أن أعرفها...
أحجل من ذكر اسمها أمام الناس...
وكانت تلك هي قصتي... مع من تملك النظرة الحزينة... الصامتة...
مع عاهرتي...

“ ما هذا الذي فعلته يا ابن البلهاء... ”

قالها (محمدي) في سخرية لـ (أحمد السيد) الذي ايسم دون تعليق فأكمل
(محمدي) :

— أنت لا تدري ماذا فعلت يا (سلمي) !؟

صاح فيه (أحمد) بضيق وهو يريد إغلاق الهاتف :

— لا داعي لهذا الهراء... ستخبرني أنها اتهازت في البكاء وكانت تشح...

أنا لن أصدق أي شيء ستقوله؛ فهي لا تحبني ومستحيل أن تفعل...
ضحك (محمدي) بقوة، ثم قال :

— بالطبع لم تفعل (سلمي) كل هذا... فقط هي حزينة منذ أن عرفت.. ولم

تستطع التظاهر حتى بأنها طبيعية... حزينة فقط...

نظر (أحمد) إلى ساعته وهو يقول :

— وهل عرفت هذا في الرابعة صباحاً... !؟

فأجاب (محمدي) بسرعة :

— يا فتى أنت من ألقيت قبيلة هرائك هذا وانصرفت... حضرت محاضرتك
وتركتنا في الكافيتريا... ظلت جالسة لا تتحدث... ولم تحضر أي محاضرة.. لا

تُرد على من يحدثها...
خفق قلب (أحمد) رَغْمًا عنه...
هل تعبته؟...

إنه - كعادة كل من يحبون من طرف واحد - يرى أنه من المستحيل أن تفكر فيه؛ لأنها في نظره ذلك الملاك الرائع الذي مستحيل أن يخطئ باعتباره عيبًا...
لذا فلم يصدق ما قاله (مجدي)...
رغم أن (مجدي) لم يكذب عليه قط...
إلا أن هذا لم يمنع خفقان قلبه... بين دقة أمل... ودقة خوف

* * * * *

استيقظ (باسم عبد الرحمن) على اهتزازات هاتفه (المحمول) ففتح عيه متكاسلاً، وهو يغلق المنبه في محموله، وظل على وضعه في الفراش، مستند بدف، فراشه اللذيذ، ثم لم يلبث أن نهض في هدوء، وارتدى خفه ليذهب إلى الحمام ويغسل وجهه ثم يتوضأ...

طوال عمره يحافظ على تلك العادة.. أن يستيقظ قبل أذان الفجر بقليل ليجلس مع نفسه قليلاً، ثم يصلي الفجر ويذاكر حتى الصباح إن كان هناك امتحانات، أو يجلس فقط ليتأمل شروق الشمس في شرفته، ثم يذهب إلى جامعته...

هو طالب بمعهد (الألسن) رغم تفوق مجموعته، لكنه اختاره؛ لأنه الأقرب ولأن فيها الكثير من أصدقائه...

أخذ كؤيًا من الشاي وذهب إلى الشرفة، وجلس على كرسيه المفضل الذي وضع خصيصًا له وتأمل الدنيا...
ما أروع مضر عندما تكون صامتة...

كل شيء حوله صامت تمامًا، وضوء النهار بدأ يحصل الإعلان من نفسه وسط ظلام الليل السائد في هذا الوقت...
ابتسم ابتسامة فرحة، ووضع قدمه على سور الشرفة في هدوء واستمتع...

* * * * *

"الو..."

قالها (أمين) في تكاسل وهو يرد على الهاتف، ليجد صوت (أمل) الباكي يقول:

- (أمين)....

نهض من فراشه وهو يقول متوترًا ناظرًا بطرف عينه إلى زوجته النائمة سلامًا

- ماذا هناك؟!

قالت بصوتها الباكي:

- أنا و(محمد) سننقصل...

خرج من غرفته وهو يغلق الباب في هدوء حتى لا تستيقظ زوجته، ثم قال بصوت بارد:

- لماذا؟!

ارتبكت ولم تدر ماذا تقول، ثم قالت كاذبة:

- لقد رأنا ونحن مع بعض اليوم...

وقع قلبه في قدميه، وقال بصوت خرج متوترًا رَغْمًا عنه:

- وماذا فعل؟!

قالت جزءًا من الحقيقة هذه المرة:

- لا أدري... لقد كان هادئًا... لكن ذلك الهدوء الذي يندر يعاصفة...

صاح فيها مونترا:
- كيف كنت بهذا الاستهزاء؟ أي حشواء أنت؟ ألا تعلمين أنه هناك
شرطة؟ ومنكته تنهى الساطة أن يأخذني في أي وقت ليفعل بي ما يشاء...
وارتفعت قدماء فلم يستطع الوقوف، فجلس على أقرب مقعد، و(أمل)
تقول:
- (محمد) من أحسن رجال الشرطة خلقاً... ثم إنه يحبني...

صاح فيها:
- لقد كنتي كأنك تحبني... أنت في نظره الآن خائفة... سينتقم مني
بالتأكيد...

وضرب بكفه على قدمه بعصية وهو يقول...
- لا أصدق أن مستقبلي قد ضاع من أجل بلهاء مثلك...
صاحت مصدومة:

- (أمن)... كيف تقول هذا؟ قلت لك إن محمد لن يفعل شيئاً لك...
ضحك في استهزاء وعصية، ونهض ليحيط علي جرس الباب الذي دق مراراً
لحظات وهو يقول:

- لن يفعل شيئاً لك... لكن لي أنا سيفعل الكثير...
وفتح الباب، ليجد ذلك الشاب الوسيم، الذي يشتم في رصانة قاتلاً:
- السلام عليكم...

انعقد حاجباً (أمن) في تساؤل، في حين انقبض قلب (أمل) في عنف...
عرفت صوته، قبل حتى أن يقول لـ (أمن):
- اسمي (محمد)... (محمد إسماعيل)...
وهو قلب (أمن)... في قدميه ثانية...

* * * * *

محمد (ياسين) يقف هناك مثلك، وضو قبضته مستعداً لكم (عادل)
مباشرة، ولكن ذرة واحدة من التطفل جعلته يتسكك ويتسهم ابتسامة عريضة
جعلت (عادل) يتسهم في ابتسامة، في حين قال (ياسين) بالابتسامة العربية
نفسها:
- (سارة)...

التفت إليهما (سارة) ثم البحت نحوهما في هتو، وراد ابتسامة (عادل)
تدريجياً ففهم حتى وصلت (سارة) إليهما، فالتفت إليهما (ياسين) قائلاً نفس
الدود والابتسامة:

... الأستاذ (عادل) يسألني سؤالاً مهشاً... بكم ساعة حضرتم؟
نظرت إليهما بعدم فهم، ثم نظرت لساعتهما وقالت متعجبة:
- ساعة وخمسون دولاراً...

سفر (عادل) بسرعة، وقال مستكزاً:
- هذا كثير جداً...!!!

أبصت وقالت مشيرة إلى ساعتهما في فخري:
- لماذا؟ إنها من (أمريكا)... كما أنها أصلية...

قالتا وهي تقرب يدها من عينيه كي يرى الساعة جيداً، فانعقد حاجباً
(عادل) وقال في استكز:
- من ماذا تحدثين؟

انقجر (ياسين) في الضحك، و(سارة) تكمل بنفس الضحك:
- عندما سافرت (أمريكا) مع أبي... وأنها وأصحتني جداً وكنت ساموت
كي أشتريها، لكنه رفض بشدة... لأجدها في اليوم التالي موضوعة على الوسادة
جانبي، مع ابتسامة أبي الحنونة... لن أستطيع أن أنسى ذلك اليوم أبداً...
قالت آخر الكلمات بصوت حنون، جعل (عادل) يرتبك أكثر، ثم قال مونترا
السلام:

- إنها فعلاً ساعة رائعة...

نظر له (ياسين) نظرة صارمة، وهو يقول:

- (عادل) أخبرني بشيء طريف الآن...

فنظر إليه (عادل) نظرة رجاء أن يصمت، لكن (ياسين) أكمل بهدوء عظيم:
- لقد عرض علي أن يأتي هو بالوقود؛ لأنه لا يصح أن تركبني معه وحدك.
نظر (عادل) إليه نظرة شكر، وقال ملتفتاً الخيف من (ياسين):

- أجل... لا يصح إطلاقاً... سأذهب لأنني بالوقود وأعود حالاً...

قالت له (سارة) في بسمة جميلة:

- لا أصدق أن هناك من في شهامتك في هذا الزمن...

هو (عادل) رأسه بلا معنى وهو يقول:

- هذا لا شيء... إنه واجبي...

قالها وهو يتجه إلى العربة في سرعة، فتأملت (سارة) في إعجاب ووضح مر
ركب عربة والصرف، ثم التفتت إلى (ياسين) حيرة:

- أرايت كم هو شاب رائع... وكم أنت أحمل في حيكمتك على الناس!

نظر إليها طويلاً، ثم ابتسم ابتسامة خالية، وقال بهدوء:

- اللهم ألا تملوت تلك البراة والسداحة يا فتاتي...

ثم لفهم، في حين اتجه وركب السيارة في هدوء...

يلوم قلبه على تلك الدفات العالية...

أخيراً، هاتف (ياسين) عبد الرحمن برسالة من صديقه الصدوق، فتأمل
رسالتها بانتباه...

>> حان الآن موعد أذان الفجر... هيا قم صلِّ وأدع لي... <<

بعض تلوّنات كوب الشاي الفارع، ثم غسل فمه، وفرد سجادة الصلاة في
اتجاه القبلة، وبدأ يصلي ركعتي السنة حتى انتهى، ثم بدأ في صلاة الفجر... وفي

الركعة الأخيرة، ظل واقفاً فترة طويلة... يدعو...

>> اللهم إني أحسبك على كل شيء... اللهم علّمك في حكمة...

ثم صمت لحظات، وأكمل دعائه في تردد:

- اللهم افقني...

وانتهى من صلاته، مستتماً كعادته بعد كل صلاة فجر...

بعض وفتح جهاز (الكومبيوتر) ليجلس إليه قليلاً، ثم فتح الكتاب...

البيد أول ما يفتح مقالة (إسلام الحسين)، ففتحها بحيرة وهو يقرأها، ثم كتب

بعد ساعة عشر تعليقاً وجعلها خلال نصف ساعة من تنوعها:

- فأنا يا (إسلام)... لم أعهدك تكتب تلك الأشياء...

وهو رأسه في أسف...

تفحص حسناً (أمن) و (أمل) عندما نطق (محمد) اسمه...

وعندما طال الصمت، ابتسم (محمد) ابتسامة رغم رصانتها إلا أنها تبدو

عجيفة، وهو يقول:

- هل سأظل واقفاً هكذا؟... لكن تدعوني للدخول!

وضع (أمن) الهاتف في جيب صدره كأنها بحقي حرة، وقال وهو يحاول

فائلاً أن يداري خوفه:

- بالطبع... بالطبع... تفصل بالدخول...

دخل (محمد) بثقة، ثم جلس في هدوء بعد أن قاده (أمن) إلى الصالة، وقال

بانتباه لرجة:

- أتريد أن تشرب شيئاً؟

هو (محمد) رأسه أن لا في هدوء، وأشار إلى (أمن) بالجلوس، فأطاع (أمن)

الإشارة كالمنوم مغناطيسيّاً، لكنه جلس على طرف المقعد كمن يستعد للركض...

في أي وقت، وقد بدأ العرق يبلل مقدمة رأسه...
وصمت منتظرًا أن يتكلم (محمد)...

لكنه لم يفعل...
ظل يرمقه بنظرة، شعر (أمن) أنها تغوص داخله، لتعرف كل ما بداخله
فلماذا عوقًا وحاول أن يبدو شجاعًا وقال:
— ماذا تريد؟

لم يرد عليه... فقال وقد بدأت العصبية تغزو صوته:
— أظن أن هناك سببًا وجيهاً، جعلك تأتي في الرابعة صباحاً...
ظل (محمد) ناظرًا إليه تلك النظرة، فصمت (أمن) وقد بدأت قدمه تهتز في
عصبية وصمت (محمد) يقتله، فقال فجأة ودون مقدمات:

— أنا لا علاقة بي بأي شيء... هي من ظلت تطاردني وتكلمني يومًا
وأكثر من مرة آخرها أنه لا داعي فهي مخطوبة لك... وأنا متزوج... فلا داعي
للمشاكل... إلا أنها أصرت...
لم يعلق (محمد) أيضًا، فأكمل (أمن):

— حتى اليوم... عندما قابلتها... ذهبت كي أنهي معها كل شيء... قابلتها
كي أخبرها أن هذا الوضع خطأ... زوجتي بدأت تثير المشاكل بسبب مكالماتها
الكثيرة... وأنا أحب زوجتي... ولا أريد أن أجرحها... لكن...
قطع كلمته وهو يعتدل في جلسته، وقال لـ (محمد) الصامت كقبر:

— لكن أنت تعرف... (أمل) هي الوحيدة في حياتي التي سببت لها لنا
كثيرًا... كانت تحبني، وتركها يوم خطبتها... فشعرت بالذنب... لذا وافقت
موفقًا على هذا الوضع؛ لأنني أحاول تعويض ما فعلته بها... اعتبرها نوعًا من
أنواع تكفير الذنوب أو الشفقة...
ثم اعتدل في جلسته وأكمل:

— لكن عندما عرفت من هو خطيبها، وكيف أنه شاب محترم، تعلم به كل
فتاة، وأفضل مني كثيرًا... إضافة إلى مشاكلي مع زوجتي... ذهبت على الفور

كي أنهي علاقتي بها...

ولأول مرة، عبر وجه (محمد) عن شيء ما، وهو ارتفاع حاجبه في سحرة،
فأكمل (أمن) برجاء:

— أنت رجل عاقل... تعرف كيف تزن الأمور، ولراها في موضعها... أنت
من داخلك تعرف أنه لا ذنب لي...
وأكمل كأنها معه إثبات براءة:

— حتى الآن... لقد كلمتني منذ قليل ولم أورد عليها؛ احترامًا مني لما قلته لها
اليوم، عن انتهاء علاقتنا...

وتابع وقد حمل صوته رجاء ماء، وقد دوي صوت أذان الفجر خلفه:

— والله العظيم... وهذا الاذان يشهد علي... خطر في بالي أن أخبرك أن
تركها... فشخص محترم مثلك لا يستحقها... المرأة التي لا تراعي حرمة بيتها
أو زوجها أو خطيبها... لا تستحق المعاشرة... لكنني قلت لا داعي... وكفاني
ما لحقت بها من ألم.

واشتم ابتسامة بريئة مكملًا:

— لكنني سعيد أنك عرفت... وسعيد أنك جئت... كي تعرف الحقيقة...
وترى أنها لا تحترمك... وأني بريء من ذنبها معك...

ونظر إلى الأرض في خجل ممثلي بارع:

— ثم هناك شيء ما... لا بد أن تعرفه عنها... والله العظيم لم أخبره لأحد إلا
أنت فقط... لأنك لا بد أن تعرفه...

وأكمل بهدوء:

— لم تكن علاقتنا بريئة جدًا قبل الخطوبة...

ولأول مرة، قال (محمد) بوجه جامد وهدوء غريب:

— إلى أي مدى وصلت علاقتكما قبل الخطوبة؟

شجعه هدوء (محمد) على قول ما يريد:

— ذهينا للسكناء معًا وحدثنا... وأنت تعرف ما يحدث هناك...

قال (محمد) بصراحة هذه المرة:

- إلى أي مدى وصلت؟ ١٩٢

عاد خوف (أمن) إليه، فقال بتردد:

- قيلات... وأحضان...

قال (محمد) بصرامته المخيفة:

- فقط ١٩

نظر للأرض، وقد أدرك غياب ما قاله الآن فقط. ولكن خوفه جعله يقول:

- ولمستها... في أماكن معينة...

نهض (محمد) فجأة، مما جعل (أمن) يتنفض ويحمي وجهه لا إرادياً، ثم نظر لـ (محمد) ويده الممدودة كي يسلم عليه، فنهض (أمن) وسلم عليه مبتسماً في تردد، في حين اتجه (محمد) للباب في هدوء، ليفتحه ويخرج دون كلمة واحدة...

زفر (أمن) في ارتياح شديد، وأخرج هاتفه من جيبه باسمًا عندما...

>> أيها الحقير... أيها الكاذب... أنت حيوان... حيواناااااااااااااااااااااا... <<
سمع صوتها قبل حتى أن يضعه على أذنه، وأدرك أنه نسي ثامناً أن يغلق الهاتف قبل أن يضعه في صدره...

>> أيها الكاذب... يا ابن الكلب... كيف تف... <<

ضغط زر إنهاء المكالمة في هدوء ولا مبالاة...

وارتياح...

* * * * *

>> كيف تعرفين أن تريحيني هكذا يا (رامي)؟ <<

قالها (العاصي) مبتسماً لـ (ريم) في الهاتف، وعندما لم ترد قال:

- أتعلمين شيئاً؟... لولا أنك (رامي) صديقي العزيز... كنت أحييتك...

صحت لحظات، ثم تساءلت في هدوء:

- أخبرني يا (عاصي)... لماذا لا تنظر لي كفتاة؟

تهدد في هدوء، ثم قال مبتسماً:

- هناك قناع ماء، يضعه أي ولد أمام أي فتاة... وهو قناع مرهق جداً لو

أردت رأيي... لا بد أن تعترف بحقيقة ما... لقد خلقنا الله مخلوقات حسنة...

ويخلق الأنثى كائنات عاطفية... إننا نتأثر جنسياً بكل شيء... وأنتم أقل منا

بكثير في هذا الموضوع... وهذا الحكمة إلهية، إنكم لو تتأثرون بنفس درجتنا،

لكننا مثل الكلاب والقطط في الشوارع دون قيود...

قالت في هدوء:

- من قال أننا لا نتأثر... إننا مثلكم ثامناً... وهناك أيام يمر علينا سوداء...

تدور في الشقة لا نعرف ماذا لفعل... لكننا أرقى من أن نقول ذلك...

ضحك ضحكة صافية وقال:

- أنا لم أقل أنكم ثماثيل من الصخر... لكني أقول إننا أكثر منكم بكثير...

بالله عليك إننا نهض كل يوم صباحاً مشارين دون أي داع... لهذا عندما يدخل

أي شخص غرفة ولد استيقظ لتوه... تجدينه نام على بطنه فوراً...

ضحكت هذه المرة، فأكمل:

- نعود لموضوعنا... لا يعرف أي رجل فتاة ما... إلا بدافع يدا أو ينهي

بالجنس... حتى لو كان حياً أفلاطونياً بريئاً... لا بد أن تجدي الرجل قد تأمل في

الفتاة... صدرها أو مؤخرتها مرة أو مرتين... حتى لو أنك هذا، فهذه طبيعة

فيينا لا نستطيع التحكم فيها...

قالت ضاحكة:

- من الآخر... أنتم حيوانات بشرية...

قال بهدوء:

- حكم قاس نوعاً... لكنه قريب من الحقيقة... وأنتم مثلاً... لكن انظري

إلى أي قطعة في الشارع... تصدعنا بموائها طوال الليل في موسم التزاوج...

وعندما رأى الذكر الذي نادى عليه ملوأل الوقت، أعد لها لقاءه، واستمر
متابعة... وأحياناً تضرعه، ثم تستسلم في النهاية... هكذا أستم بالعبادة...

وأكمل بعد ضحكها:
- لهذا لا أريد أن أنظر إليك كائن... أنت أعظم من هذا في نظري... لا
أرتاح معك وأنت قبك وأخبرك ما أريد دون خوف أو حرج... أنت المرح
مخصص لي في حياتي... فكيف أحولك إلى أنني... أنظر لك كل ذكر؟

فالت باسم:
- أتعني أنك لم تنظر لي أبداً بتلك النظرة؟
قال باسم بصراحة المعهودة معها:
- والحق يقال... أنت تملكون صدرًا رقيقاً...
صاحت فيه بتعجب:
- أحرص يا حيوان...
ضحك قائلاً:
- أنت تعرفني... فلا تسالي سؤالاً لا تحين أن تسعني إجابته... لأن

سأقولها...
فالت بضحكتها:
- لعنك الله...

* * * * *

ورغم كثرة التعليقات التي وصلت من أصدقائه، لم يتسهم (إسلام الحسيني) أو
حتى يشعر بالسعادة...
ثمانية وعشرون تعليقاً حتى الآن...
وكلهم تعجبهم القصة القصيرة...
هناك بالطبع فتيات تعترض، تخبره أنه لا داعي لتلك الكلمات، وأنه كاتب

حرفاً دون تلك الأحياء...
لو كانت على حق... إفت لماذا لم تعلق - أو ربما لم تقرأ - مقالي؟ أنا إن قدر

الآلة محاسب...
أكثر التعليقات التي أثرت فيه تعليق (باسم)...
لم يقل إنها جميلة... ولم يقل إنها سيئة... لكنه حذر من إحباطه...
إحباطه في شخص (إسلام) الذي غداً إلى تلك الوسيلة لحلب الإساءة...
تذكر في السجدة الأخيرة، هؤلاء الناس الذين يدخلون على موقع ليو عرب؟
أو أي موقع آخر... يفتح فيلماً عنوانه (حسن... إبرة... صبر كبر)... ثم
يرك تعليقاً يقول: «أستغفر الله» وآية قرآنية... ويلوم من وضع تلك التعليق
الغداً صفحة تغلب شائناً في قمة...
لماذا فصححت الفيلم أصلاً - بل وشاهدته - أيضاً؟
أني تنافس هذا...
واستم في هدوء...

* * * * *

رفع (باسم) رأسه إلى السماء في ملل، وقد بدأ ضوء النهار يلمع من حده
في حين قالت (سارة) ناظرة إليه في قلق:
- (عادل) تأخر...
استسم (باسم) استسامة ساخرة ولم يعلق، في حين نظرت (سارة) إلى ساعتها
ثم هتفت:
- اللعنة... لقد توقفت الساعة...
نظر (باسم) إلى ساعته وقال:
- إنها الخامسة إلا عشر دقائق...
نظرت إلى ساعتها بضيق وهي تهزها وتدق عليها بأصبعها، ساعداً تعمل

ثانية، لكن معاً لديها رغبة بالفشل، فزفرت في حلق وقالت:
- (عادل) هذا شيء حيارفة... أعجبت الساعة، فتوقفت على الفور...
ون حرس هاتفها المحمول، فأخرجته من حقيبتها لتجد رقشا غور مسجون
فردت قائلة:

...أنا...

... (سارة أحمد محمد)؟

صوت قريب فالتفت فوجدت توتر وهي تقول:

... أنا هي... ماذا هناك؟

... إنا مستشفى (....) في العاشر من رمضان...

... ماذا هناك؟؟؟

فالتفت بصوت أكثر توتراً جعل (ياسين) ينظر إليها مستائلاً، في حين لم
الصوت:

... أنا الدكتور (أشرف)... البقاء لله... والدك لو...

قاطعت صرختها المفروعة، وقد وقع الهاتف من يدها وصارت:

... أمي...

وانهارت في البكاء وهي تجلس على الأرض وتسد ظهرها إلى العربة، في
حين وقف (ياسين) مذهولاً لا يدري ما يفعل، فجلس على الأرض إلى جانبها
وربت على كتفها قائلاً:

... اهدئي... لا حول ولا قوة إلا بالله... أرجوك...

مالته رأسها وهي تبكي لتسند على كتفه، فلم يشعر بنفسه إلا وهو يحيطها
بذراعيه، في حين ظلت تبكي وقد دفنت رأسها في صدره...
واستم بكاؤها ملوياً...

وصوت الرحل في الهاتف يكمل...

... آمنة (سارة)... هل تسمعيني...؟

ولا حياة لمن نادى.

سادس الساعات

الخامسة صباحاً

نظرت (أمنية) إلى ما كتبته في فخر شديد...
شعرت داخلها برضا وسلام داخلي جعلها تبسم في سعادة...
هناك أمل ما...:

رغم كل ما كانت تشعر به من يأس من كل أصدقائها، ونعتها لهم بالسلبية،
وغضبها من نفسها أنها كانت مثلهم بنفس السلبية، إلا أنها عندما تحركت
وحدث الكل يتحرك معها...

هي لا تعلم لماذا الجرفت، ونشرت مقالات تنتقد الحكومة وتعلن ملسفيلها،
لكن ذلك الحماس، وتلك الطاقة للتغيير، جعلتها تريد تغيير كل شيء...

تقول كل ما كتته في نفسها طوال تلك الأعوام من الصمت...
فللت تنظر إلى ما نشرته فترة طويلة، وقد شردت قليلا، عندما دوي صوت
جرس هاتفها فنظرت للرقم في تعجب، ثم ردت لتجد عمها:

- (أمنية) حبيبة قلبي... ما أحوالك؟
صوته المرح جعلها تعقد حاجبيها في ضيق....

* * * * *

«لا أستطيع...»
 قالتها (يسرا) في توتر، وقد انقبضت كل عضلاتها من توترها، وبدأت تنهم
 بضيق خفي يغزو صدرها...
 تنهدت تنهيدة حارة وقالت ثانية:
 - لا أستطيع...
 - هذا لأنك لست مسترخية بما يكفي...
 قالها الصوت في هدوء شديد، فأخرجت يدها من بين قدميها وقالت:
 - هذه ثاني محاولة تفشل...
 قال الصوت بهدوء:
 - أمامنا اليوم بأكمله...
 قالت وذلك الضيق يغزوها:
 - بصراحة... لا أريد تكرار المحاولة...
 صمت هذه المرة ولم يرد، فأكملت:
 - لقد وافقت في البداية ظناً مني أنني أتمرد... قلت لنفسي لأشعر بالجنون
 والحرية لأول مرة في حياتي...
 وزفرت في عنف مكمل:
 - لكن عندما بدأنا... شعرت أنني عاهرة... نظرت إلى نفسي من أعلى،
 لأجد فتاة رخيصة تعبت في نفسها...
 قال لها في تفهم:
 - لهذا لم تستطعي... لا أحد يستطيع أن يفعل هذا عندما ينظر إلى نفسه
 من أعلى...

قالت مبتسمة، في محاولة منها لاستعادة مرحها وراحتها:
 - كيف تنظر إلى نفسك أنت إذن؟
 صمت فترة طويلة هذه المرة، ثم قال:
 - أنا لا أراي...

صمتت، فاستعاد صوته هدوءه وهو يقول:
 - لهذا تمكنتي فعل أي شيء... لقد قتلت مسيري منذ فترة طويلة...
 لمعرت بفضول غريب، فسألت:
 - من أنت؟
 صمت هو لحظات طالت، جعلها تقول مغيرة السؤال:
 - لا داعي لذلك السؤال...
 ثم صمت مفكرة لحظات لتسال:
 - لماذا أنت؟
 ورغم سؤالاتها غير المفهوم... إلا أنه فهمها...
 قال بصوت لم تستطع أن تفهم ما به:
 - أنا لا أعرف لماذا أنا... لا أعرف من أنا... ولا أعرف ماذا أريد... ولا
 أريد أن أعرف كل هذا...
 صمتت في محاولة للفهم، فأكمل:
 - لماذا أنا... لا أدري... كل من عرفته يعرف تماماً لماذا بعث... شئ
 يستيقظ ولأن يعمل وما هو الهدف من وجوده... يسعى لتحقيق شيء ما...
 يجد ما يحلم به ويرغب في تحقيقه... إذا كان زواجاً أو منصباً أو حتى عائلة
 كريهة... لكنني لا أعيش من أجل أي شيء من تلك الأشياء... ولدت وأنا أحاول
 أن أفهم فلم أستطع حتى الآن... جميع من حولي أخبرني أنني سأعيش لكن بلا
 داعي... وهذا ما حدث فعلاً...
 دارت في رأسها عشرات التساؤلات لكنه أكمل:
 - من أنا؟... خمسة وثلاثون عاماً أحاول معرفة إجابة هذا السؤال ولم
 أعرف... ظننت نفسي محترماً ومتديناً ولن أفعل ما يغضب ربي أبداً... حتى
 لاحت أول فرصة لفتاة تعرض نفسها علي... فاستسلمت ولمت معها...
 فعرفت أنني لست كما أظن... قلت إن هذا آخر شيء سأفعله خطأ... لأحد
 أنني شربت سجائر... وتنطور الأمر إلى الحشيش... ثم تطور ليصبح حمزاً...

وظل طعم الخمر المر يذكري بما كنت، وماذا أصبحت... وكيف سأكون...
لو سألتك السؤال نفسه وعرفت الرد فأنت كاذبة... إن الإنسان عبارة عن
صلصال تشكله الظروف والحياة كما تريد... أنت فتاة صغيرة داخلها شعلة من
النار... تحترق في صمت... لو أخبرك أحد في حياتك أن هناك من سيكلمك
ويعرض عليك مكاملة جنسية وأنت ستوافقين... هل تصدقيه؟؟
قالت بصوت خافت:

- لا بالطبع...
- إذن كيف تخبرين أنك تعرفين نفسك؟... كلنا نضحك على أنفسنا...
نحكي بنا الأيام دون ألم... كلنا كاذبون...
وصمت لحظات ثم أكملت:
- يمكنك اعتباري شخصاً توقف عن الكذب منذ فترة... فأصيح مبتهماً
كثرة ما شعر بالألم...

صمتت وهي لا تدري ما تقول...
ضرب كلامه بكيانها عرض الحائط...
شعرت بثورة داخلها لا تدري مصدرها...
أدركت أنها - مثلما يقول - كاذبة...
تكذب على نفسها وعلى كل من يعرفها، بشخصية ليست داخلها، لكن
بكيان أرادت أن يراها الناس به...
طال صمتها مع صمته عندما...
<< هيا... >>

قالت بحسم قرّة متسانلاً:
- ماذا؟!

قالت بصوت قوي:
- المحاولة الثالثة...

صمت لحظات طالت، ثم قال بهدوء:

- لا داعي...
قالت بحماس مفاجئ:
- لماذا؟
قال بهدوء:
- لا أريد أن أقتلك...
صمت لحظات، ثم قالت هاردة:
- من قال إنك تقتلني؟
واكملت:
- إنك الآن تحبني...
وعندما صمت، قالت له:
- أنا مستعدة... هل أبداً وحدي؟؟

* * * *

هدأ بكاء (سارة) تماماً بعد فترة طويلة، لكنها ظلت على وضعها، جالسة
على الأرض ورأسها على صدر (ياسين) الذي يضع ذراعه على كتفها...
وعندما طالت جلستها لم يتحرك وهو يظن أنها نامت، لكن عندما بدأت
العربات في الظهور، ثم بدأ بعضها في إطلاق النفير عند رؤيتهم، قال بصوت
خافت:
- (سارة)...

رفعت رأسها إليه بعين حمراء غامقا، فقال بهدوء:
- هيا نحاول مرة أخيرة... عسى أن تقف عربية لنا...
أومأت برأسها موافقة، ونهضت معاً، ليقف (ياسين) محاولاً إيقاف العربات في
حماس كعادته، ينظر إليها بين الحين والحين، وهي جالسة داخل العربة تنظر للأشياء
شيء، ورغم أن الموقف لا يحتمل إلا أنه شرد غمماً عنه وهو يتأملها...

هل السهولة؟

هل تلكت الصراخ فتوقفت فجاءه فقه لها في سعيه؟

هل تمكن ان يشعر بما يشعر به فقط في صبح ساعاته؟

أي حبال هذا؟

قاطعه صوت نقر عربة مسرعة تقارب منه، فنظرت له (سارة) مغرورة غدا، ولم يحاول ان يرجع لتكشف مسرعة كي لا تلتطم به...

لكنه لم يكن نزيها كما يمكن...

استطاع حذات العربة بلدهم ليحد نفسه بطور الخطات، ثم يقع مرابط بالأرض في غفلة ويتدحرج قليلا، ثم يهملد حركته...

صرخت (سارة) وهي تفتح باب العربة وتركض نحوه، وجلست أوصال حاليه وصاحت برعها:

... (ياسين) ... (ياسين) ...

تساقط عليها وقد بدا الألم واضحا في قسمااته، في حين توقفت العربة التي ارتطمت به، وخرج منها رجل في العقد الخامس، ومعه زوجته، ليدها بحرف مدحورين، والرجل يقول:

- هل حدث لك شيء يا بني؟

نهض (ياسين) مستخفا إلى (سارة)، فأكمل الرجل بثوته:

- لقد كنت تقف في مكان بعيد عن الرصيف... وكانت هناك عربة كبيرة أمامي، وعندما انجعت حاليها كي أسيقها وجدتك أمامي، فلم أستطع أن...

قاطعه (ياسين) بانسامة:

- لا تغلق يا والدي... إنه خطئي أنا...

تهد الرجل وزوجته في ارتياح، ثم قال الرجل ثانية:

- هل أصبت؟ هل أظلمت إلى أي مستشفى؟

صمت (ياسين) لحظة، ثم قال:

- هناك شيء واحد تستطيع أن تفعله لي...

قال له الرجل مسرعا:

تشر...

قال (ياسين) وهو يشير إلى (سارة):

... تلك الفتاة تريد الذهاب إلى مستشفى في الخارج من رحلتك...

واللهي الآن... وقد لقد توقفت هنا...

ونظر للعربة ليحد فداكين الحسنان على التمس الحظي لنظر إلى شيء غفل...

سنا...

... وأنا أرى... لا يوجد سوى مكان واحد فقط في مرشحتي...

أرسلها؟

أربع ساجدا الرجل في تأخر وقال:

... بالطبع بالطبع...

ونظر إلى (سارة) قائلا بأسف:

... البقاء لله يا بني...

ظهرت دسوح (سارة) ثانية، فدفعها (ياسين) برفق قائلا:

... هيا يا (سارة)...

نظرت إليه خطرات متأخرة، ثم قالت:

... لا أريد أن أتركك... وأنت تفعل كل هذا من أجلي...

انسم انسامة مشجعة ثم قال محاولا إطفاء ألمه:

- سأظل مع العربة... حتى تأتي عربة أخرى وأملأها بالوقود ثم أتركها...

بها... اتفقنا؟

نظرت إليه وإلى عيته، وقالت بدموعها:

- لا أعرف ما أقول... أشكرك تبدو قليلة جدا...

ابتسم ثانية ونظر إلى الرجل قائلا:

- أرجوك... اهتم بها... وأوصلها سائلة...

ابتسم الرجل في هدوء، في حين ذهبت (سارة) معهم بهمة، وهي تنظر إليه...

حتى ركت الثمر بعد ثمنها الفئانان، وفألت إحداهما وهم يتحركون
- إنه يلزم...
الفت (سارة) مفروغة نحو (ياسين) الذي ظهرت بقعة حمراء كبيرة على
أسفل بطنه والفرية تبعده...
تاركة أباه...

>> ماذا تريد يا عمي...؟ <<
فأثها (أمية) في تعجب، وقد شعرت ببعض القلق، فقال لها في عذو:
- ما هذا الذي تفعلينه؟
لم تستوعب لحظتها ماذا يقصد، فقالت متسائلة:
- ماذا هناك؟
قال محاولاً أن يبدو هادئاً:
- أنت تعلمين ما هو عملي... أليس كذلك؟
انصت في حيرة وقالت بأسمه:
- لا أعلم بالضبط... كل ما أعلمه أنك في منصب كبير في الداخلية...
صمت لحظات مفكراً، ثم قال:
- وماذا أيقظ؟
- وألك قد ترشح نفسك في الانتخابات...
- هذا هراء... لا يوجد أحد بالداخلية يرشح نفسه... إنه القانون...
لم تفهم ماذا يريد، فطلت على مستها، فقال وقد بدأت العصبية تتسلل إلى
صوته:

- قصدت بسؤالي... أنني أنا من أزعجكم... والدك بصحة سيئة، وداخل
مستشفى الآن، من أكر مستشفيات البلد، وكل شيء له محاناً... مصاريف

مما عليك كانت صائلاً... وحلة أميك وأملك إلى الحج جئت من عذو... ثم
والأفضل من هذا... أنكم في حياتكم كلها تمشون باسمي... لا تعرفون معنى
قراءة أو كتابة... ابن عمك الضائع الذي مات أحد أصدقاءه من جرعة والدته
من المخدرات، لم يز القسم، ولم يذكر اسمه في المحاضر الرسمية... كل هذا
لأنكم من عائلة الريات...
لم تفهم ماذا يريد من كل هذا الكلام، فقالت بأسمه:

- وأنا لم أذكر هذا لحظة يا عمي... ولك جليل الشكر والقدس...

قال محاولاً الهدوء:
- أنا أفعل كل هذا عن طيب خاطر... إنكم أميالي وهم إخواني... لا أحتاج
إلى كلمة شكر منك...
- إذن ماذا تريد؟

فأثها هادئة، انشاجاً وانفجاراً:
- أريد التقدير... أريد أن أشاهد في تصرافكم احتراماً لما فعلته... لا أريد أن
أستغل الساعة الخامسة صباحاً على تليفون من من يعملون لي ليخبروني أن
هناك مشكلة حياتهم بخصوص ابنه أخي... أقول لهم ماذا فعلت؟ فيردون:
نشرت في ست ساعات حملاً وستين مقالة، تدعو فيهم للنظام والذرة الشعب
وتعلن الحكومة ووزارها في ثلاثين مقالة منها... وتدعو للطرف النقي في
ثلاثين أخرى...

بهت (أمية) من الأرقام، هي نفسها لم تصدق أنها نشرت كل هذا، لكنها
فالت مدافعة عن نفسها:

- أنني لم أدعو للنظام وإثارة الشعب... كل ما فعلته هو أنني أريد الفلاح
صفحة (الله) على الـ (facebook) ليس أكثر...
قال لها، وقد بدا أنه يقرأ من شيء ما:

- في المقالة السادسة عشرة من ملفك الشخصي... توجد مقالة
لليكاتيب (...). >> لا بد من الثورة... كل تلك السلبية والطرفة المصرية لا

لجعلنا نتحرك خطوة إلى الأمام... خمسة وعشرون عامًا من الدل والمهانة... لا حل لنا سوى الثورة... المقالة المشهورة <<إنك لميت وإننا لميتون>>... قطعة من كتاب ثورة الشعب... كاتب صغير في أحد صحف المعارضة السخيلة... <<خازوق الحكومة... وثمانين مليون حرم...>>... كيف لفتاة محترمة مثلك أصلاً أن تنشر هذا المقال؟! هل أكمل؟؟ شعرت بارتباك شديد من ثورته، فقالت محاولة تهدئته:

- إنها مقالات كلها منشورة في الصحف... وعلى الإنترنت... كل ما فعلته أنني نقلتهم...

ثم صمتت لحظة وقالت بعصية هذه المرة:

- وهل في رغبتي لإغلاق صفحة كافرة.. تطرف ديني؟؟؟

قال بالعصية نفسها وهو يقرأ:

- شعار الإخوان... (الإسلام هو الحل)... (ضباع الدين في عصر الإصلاح)... (الحكم الإسلامي والشرع)... وآخر مقال هذا فيه أن حكم الإسلام فيما تفعله الحكومة ومن فيها هو الإعدام، أو قطع أيدي كل من فيها... هل أكمل أيضاً؟ صاحت في انفعال:

- هل ترافيني؟

صرخ فيها:

- أنا لا أراقب أحد... لكننا نملك أسماء معينة تحتها خطوط حمراء... يلاهنك هذه انضممت بجدارة لتلك القائمة... قالت بعصية:

- ولماذا تتركين تلك الصفحة... التي فيها من يدعي أنه الله... وتتركين من فيها...

حاول أن يهدأ عندما وجدها منفعة:

- ما لنا نحن في مجموعة حمقى ملحدتين؟؟؟... هل تظنين أن تلك الصفحة هي الوحيدة؟... هناك مئات الصفحات مثلها... بل هناك موقع مخصوص

سحر من القرآن... يقلدون آياته ويأتون بقارئه بقراءات مثلاً... ثم يصعدون سافلة و"أبيحة" في الآيات... وهناك موقع سحر من الرسول وعادات المسلمين... ومئات غيرهم...

شعرت بالتقزز مما سمعت فقالت:

- أسففر الله العظيم...

ثم قالت بتعظيم:

إن ما قلته يدفعني لإكمال ما أفعله... فكما قال الرسول عليه الصلاة والسلام... <<من رأى منكم منكراً فليغيره>>

قاطعها بسرعة قائلة:

- بقله... هناك (بقله)... وهذا ما أريدك أن تفعله...

هزت رأسها لمي عنف قائلة:

- أسفه يا عمي... لا أستطيع...

صمت هذه المرة فترة طويلة، ثم قال بصوت هادئ:

- لك ما تريد...

وأكمل:

- لكك انتهى... وأنا - مثل أي أب - لن أسمح لأحد أن يؤذي

نفسه... حتى لو كان هذا رغباً عنه...

صمتت ولم ترد، في حين أغلق الحظ...

في عنف...

نظر (أحمد العاصي) إلى ساعته، ثم قال مندهشاً:

- هل الساعة الخامسة والنصف صباحاً فعلاً؟؟؟

قالت (وجم) بأسمة:

- أحل...

قال في تعجب:

- لا أصدق أننا تحدثت منذ ساعتين ونصف...

قالت بأسمة:

- اللحظات الحلوة تمضي بسرعة...

ثم استطردت في مرح:

- ما هو أكثر المواقف إحراجاً مر عليك...؟

ضحك في سعادة لا يعرف مصدرها، ثم قال بأسماً:

- حسناً يا (رامسي)... كنت في المستشفى... أنت تعلمين أنني ذهبت

للمستشفى في عملية (ناصور)... المهم... كنت ألتحدث مع (صافي)... الفلانة

التي ارتبطت بها وتركتها بعد شهرين...

قالت بغبطة:

- أعرفها...

أكمل دون أن يلاحظ:

- كانت صارووووووووخاً... كلما أراها أو أسمعها أشعر أنني ثور في

موسم التزاوج... تحدثنا ليلتها وكانت مكالمة ساخنة قليلاً... لأغلق معها وأنا

أموت... لذا قلت أريح نفسي قليلاً...

قالت بشغف:

- لا داعي للتفاصيل...

ابتسم ابتسامة مرحة، وقال:

- المهم... لم يمر خمس دقائق حتى دخلت الممرضة فجأة ظناً منها أنني نائم

في هذا الوقت المتأخر... ورأت كل شيء...

أفكت منها ضحكة رغماً عنها، فضحك هو الآخر وأكمل:

- وقفت المسكينة ذاهلة لحظات... ثم أدارت نفسها وخرجت لتغلق الباب

ورأها...

تشاركنا ضحكة ملوونة وقالت:

- حينون... في المستشفى ٩٩٩٩

قال:

- ذلك مني... ما هي أكثر المواقف إحراجاً لك؟

ضحكت في إحراج وقالت:

- كنت في محاضرة... ولا أدري لماذا، أو ماذا أكلت، لكن بطني كانت

تلهج... وكنت أحاول إمساك نفسي لأنني لا أحب حمامات الكلية...

حتى وصلت للدرجة لا تحصى... فرفعت يدي لأستاذ الدكتور كي أنقب،

اسمع لها... تهبطت بسرعة فأفكت مني...

لم أكن كيف تقولها فقال (عاصي) بأسماً:

- (فركوكة)... أمي تطلق عليها (فركوكة)...

ضحكت في مرح وقالت:

- حسناً... أفكت مني (فركوكة)... المشكلة الوحيدة أن صوتها كان أعلى

من كنت أتخيل... وقد كان المدرج كله صامتاً لسماع الدكتور...

لتجبر (عاصي) بالضحك، فضحكت معه قائلة:

- كان هذا رد فعل الناس هناك أيضاً...

ودوت ضحكاتهم مملأ الدنيا...

انهارت (أمل) في البكاء...

في حياتها، لم تظن أبداً أنها مملكت هذا القدر من الدموع...

كم هو حقير...

لم تتخيل في حياتها، أن تصل الوضاعة بإنسان إلى هذه الدرجة...

إنها لم تفعل شيئاً معه...

لم تقر به حتى...

كانت تعشقه، وكانت لا تتخيل نفسها إلا بوجهه فلم تفعل شيئاً معه...

كيف يفعل هذا بها...
وللمرة العشرين بعد المائة، تكلم (محمد) ولا يرد عليها...

كيف لم يصره ١٩...

كيف لم يثر في وجهه ١٩...

هل صدقه ١٩...

كيف يصدقه ١٩...

أرجوك رد يا (محمد)...

أنا أعرف الآن كم أحبك...

أعرف كم كنت رجلاً... وكيف كنت حمقاً، وعميماً يحيى له (المر)

الكلب...

تصاعدت دقات خفيفة على الباب، فقالت دون أن تهتم حتى لمس دموعها

- ادخل...

فتح (مصطفى) أبوابها الباب في هدوء...

وعندما رآته، ركضت إليه وارتعت في صدره تبكي بحرارة...

احتواها في حنان، فمهما كان خطوها فهي أخته الصغرى التي تربي على

حمايتها...

قال لها بهدوء:

- ماذا حدث؟

نظرت إلى عينييه الداغتين لحظات، ثم انطلقت تروي...

كل شيء...

* * * * *

لم رهيب كان في ساق (ياسين)، لكنه لم يبال به...

ظل جالساً داخل السيارة منذ أن انصرفت (سارة) مع تلك العربة...

لمعة دم كبيرة على سرواله، جعلت السروال يلتصق به أكثر ويزيده ألماً على

الم...

لكنه - وقد عجب من نفسه لذلك - لم يكن يفكر إلا في (سارة)...

انحصر كل تفكيره في تلك اللحظة التي بكت فيها (سارة) على صدره...

حقق قلبه، وشعر لحظتها أنها له...

شعر أن يديه خلقتا كي تحويها...

على مقاسها...

في حياته كلها - وقد ارتبط ثلاث مرات من قبل - ثم بشعر تلك الشعور...

لكنها تشرب سحائر... وتليس ملابس لا تليق بشرقيته...

لكنها له...

ظل على حيرته فترة طويلة، حتى دوى تغير تلك السيارة إلى جانبه...

التفت لتلك العربة التي وقفت بجانبه، و(عادل) يخرج منها متسهماً، وفي

يد (حريز) كبير ممتلئ بالبنزين، ويقف جالساً لفظة العربة قائلاً باتسامة:

- وصلت النجدة...

نظر (ياسين) إليه متسائلاً وقال:

- لم أكن أتوقع أنك ستعود أبداً...

قال (عادل) وقد بدا عليه الأسف:

- كان سوء تفاهم كبير... لعنة الله على الأصدقاء... يخبرونك بمقامراتهم

وما فعلوه من سفالة، حتى تظن أن نصف نساءنا عاهرات، والنصف الآخر

يستسلم دون نقود!

وأكمل عندما وجد باتسامة (ياسين):

- أخبرني أحد أصدقائي أن موقفاً مشابهاً حدث معه، عربة معطلة، وفناء

تروني ملابس مكشوفة معها شاب - ولا مؤاخذه - ليس برجل... ركب

معها ساعة وفعل ما فعل وأعادها ثانية بخمسين جنبها... لذا عندما رأيتمكم

ظننت...

الاسم (ياسين) وهو يفتح باباً عروياً، ويخرج منها بصعوبة، ثم يخرج حرج
وقفت أمامه، فقال (عادل) بدخلة!
- ما تلك الدعاء؟؟ وأين الفتاة؟
الاسم (ياسين) ساخراً وهو يقول:
- ذهب مع زبون آخر...
ارتست أغنى علامات البلاء على وجه (عادل)، فضحك (ياسين)
ضحكة خفيفة، ثم قال في هدوء:
- توفي والدك... فأوقفنا عربة كني تذهب بها إلى المستشفى...
ارتفع حاجبا (عادل) وقال في أسف:
- البقاء لله...

ثم تسأل متعجباً للمرة الثانية:
- ولماذا الدعاء؟؟

قال (ياسين) ساخراً ربما من كثرة تعبه:
- لقد نعمت زيادة عن اللزوم... فقهرت أمام واحدة...
ارتفع حاجبا (عادل) في دهشة، في حين أكمل (ياسين) بنفس السخريّة:
- الآن لا توجد شهامة إطلاقاً... كل شخص ينظر أمامه ولا يفكر في أحد
إلا من في حياته وأهل بيته... مثلاً في موقفنا هذا لن يقف إلا ثلاثاً...
وأكمل عندما وجد نظرة (عادل) المتسائلة:

- شخص هائج مثلك... نصاب يريد كسب نفود ما يتظاهره بإصلاح
العربة... والشروط... طناً منها أننا لم نركب (فعلاً فاضحاً في الطريق العام)...
أفلتت من (عادل) ضحكة وقال:

- هل وصلنا إلى هذه الدرجة؟؟
نظر إليه (ياسين) نظرة شاردة وقال:
- هذه هي مصر يا عزّة...

- من عزّة هذه...؟؟

- لا تبال...
قالها وهو يخرج الجركن، ويسلمه إلى (عادل) الذي أخذه منه باستاء وقال:
- هل تقبلت اعتذارى الآن؟
قال له (ياسين):
- يكفي أنك عدت... المهم... كم حساب البنزين؟
أجبه (عادل) نحو عريته وقال باستاء:
- لا عليك...

ساح فيه (ياسين):
- أين تذهب؟؟

نظر له (عادل) متسائلاً فقال (ياسين) في حرج:
- لا بد من شخص لينطع العربة؛ لأنه عندما يتفقد الوقود، لا تعمل بالأسلوب
العادي... ولا بد من أن تدفعها و (تكرارك) على الثاني...
الاسم (عادل) وخلع جاكته البتلة، وأجبه إلى مؤخرة العربة، فقال له (ياسين)
لأول مرة منذ عاد:
- أشكرك...

لم يرد (عادل) وهو يدفع العربة بقوة، حتى دارت...
قال له (ياسين) بهدوء:
- سلم لي على الفتاة... وقل لها البقاء لله...

واتطلقت العربة به (ياسين)...
في طريقها إلى (سارة)...

* * * * *

سؤال واحد فقط أعجب (إسلام الحسيني) في وسط التعليقات...
>> أشعر أن القصة لها بعد آخر... من هي عاهرتك...؟؟

آخرًا... فهم شخص ماء ما يريد قوله...
وله هو فقط - رغم شين تعليقًا لم يرد على أحد منهم - كتبه:
... <> إلى (عبرو)... لماذا لا تقرأها ثانية... وتعرف من هي... << ١٩
ما إن كتب التعليق ونشره، حتى وجد تعليقًا سخيفًا يظهر:
<> لماذا لا تعطيني رقم هاتفها... وسأساعدك بدلًا من الرجل العجوز... >>
وآخر أسخف منه:

<> سأخبرك من هي عاهرتك... إنها أمك... اليس كذلك؟ >>
لم ينتظر ومسح التعليق فورًا، ليجد آخر يظهر:
- لقد أصبحت عاهرة؛ لأنها لم تجد من يشبعها... قل لها (الفسوفاني) هذا
هو سيفعل معها الواجب... <>
زفر في ضيق ليجد تعليقًا آخر:
<> كل مساء (مصرييل) هكذا أصلاً... يا بلد الفساد والعهر... تسبهم
فيكم وتشاركون اليهود مالكم... يا أمة ضحككت من جهلها الأمل... (بيد
لاحيوي)... <>

وما إن ظهر هذا التعليق، حتى تحول كل المشاركون ضد هذا الشاب:
<> ما هذا يا (...) يا (...) أمك... يا من نام معكم القريسيون حتى
أصبحتم لا تتحدثون غيرها...
وبعد ربع ساعة تجاوزت التعليقات رقم (200) في سهولة، وكلها مثالم
متبادلة بين تلك الشباب وأصدقاء (إسلام)...
وخرج الموضوع عن السيطرة...

سابع الساعات

السادسة صباحًا

ارتجفت جسده (يسرا) وهي تشهد تنهيدة طويلة، تعلو شفتيها ابتسامة سعادة
عري طبيعية، وأخذت تنهيج في بطنه...

قال لها الصوت:

- ها... ما رأيك؟

ضحكت في سعادة، ثم قالت مبتسمة:

- أروع شعور أحسسته في عمري...

صامتة الصمت بينهما للحظات، ثم قالت:

- هل أعجبك الموضوع أنت أيضًا أم...؟

قال لها بصوت تظهر فيه السعادة:

- من أروع تجارب حياتي...

قالت وهي تتشاءب، وتفرد جسدها باستمتاع:

- هل بعد ما فعلناه... يأتي إحساس ملح بدخول الحمام؟

- بالطبع...

ضحكت وقالت:

- إذن هل تسمح لي بالذهاب إلى الحمام دقيقة ثم أعود؟

صمت للحظات ثم قال:

والغلقوا المكالمه...

* * * * *

أوقف (ياسين) العربيه أمام مستشفى العاشر من رمضان، وقد كانت القيادة تقدمه المصابه جرحاً، لكنه تعامل، ومشى بأقصى سرعة تسمح بها قدمه المصابه ليدخل المستشفى سائلاً إحدى الممرضات:

- أين غرفة السيد (أحمد أبو ثلثة)؟...

فالت الممرضة دون أن تحببه:

- سيدي... أنت مصاب، هل تود أن تكشف؟

قال بعصية:

- إنها إصابة بسيطة، أين غرفته؟

بهذه قالت:

- غرفة (311)

ذهب سرعاً ليصعد الدور الثالث، ليجد الغرفة مميزة، دون أن يحتاج لسؤال عنها...

كان هناك مجموعة من الرجال ينظرون لأرض المحر في حزن، وقد جلس ثلاثة منهم بقروا القرآن...

فذهب نحوهم لينظر إليه أحدهم قائلاً:

- هل أنت قريب له؟

لم يجد (ياسين) ما يقول فقال كاذباً:

- انه بمثابة أب لي... لقد تربيت على يده....

هز الرجل رأسه في أسف وقال:

- كان من أعظم الرجال... إنه مديري منذ ما يقرب من عشرين عاماً... لم أرى منه أي شيء سيئ... رحمه الله...

سأله (ياسين):

- ما سبب موته؟

قال (العاصي) له (ريم) في ابتسامة:

- هيا... لا بد أن أنام، سأذهب للعمل في المكتبة الثامنة صباحاً أي بعد ساعتين فقط...

قالت (ريم) وهي لا تريد أن تغلق أبداً:

- وهل تستطيع الاستيقاظ بعد ساعتين فقط؟

قال:

- لهذا أعتد عليك يا (رامي)... كلميني حتى أستيقظ...

صاحت مازحة:

- طبعاً... جاريتك أنا حتى لا أفعل شيئاً في حياتي سوى الكلام معك وإيقاظك...

وأكملت مبتسمة:

- إن لي حياتي يا هذا... وأريد أن أنام كما أريد...

صمت ولم يرد فزفرت في استسلام:

- حسناً... يمكنك الاعتماد علي...

ضحك هذه المرة وقال:

- هذا هو العشم يا (رامي)

قالت كي تغيظه ليس أكثر:

- هيا... أغلقي يا (سوسن)...

ارتفع حاجباه وقال ساخراً:

- (سوسن)... ألم تجدي اسم فتاة إلا (سوسن)؟

وعندما ضحك أكمل بفرور:

- أنا لو كنت فتاة كان اسمي سيصبح (سونيا)... (تيتي)... (يارا)، وليس

(سوسن) أبداً...

ضحك بشدة، ثم ودعوا بعضهم بعضاً...

"المؤتمرات المصرية تنظر الحاد في الجزائري"

ليضع مصري آخر تعليقاً

"بلد الملون هاد"

ونظر (إسلام) إلى كل ذلك في صمته...

لو كان كل هذا الكره والبغضاء لليهود أو المحتلين، لكان الإسرائيليون قد

انتهى عهدهم من قرون... لكن هكذا نحن...

بل وأكثر ما يغيظ... أن هناك أغاني (راب)... وهي نوع موسيقى أمريكي

يهودي... يستخدمه الشبان لسياب بعضهم بعضاً...

شعر بالاشمئزاز...

ودون كلمة أخرى، ضغط على زر مسح...

وظهرت الرسالة الإلكترونية أمامه،

"هل أنت واثق من أنك تريد مسح كل المقالات من ملفك؟"

ورغم توقفه كثيراً أمام هذا السؤال؛ لأنه سيمسح بجهود سنين من إنتاجه

وفكره وروحه... ضغط على التأكيد...

ومسح كل مقالاته...

فقط كتب جانب (حاليه) في ملفه:

"لا فائدة من الصراخ في أمة صماء... ولا جدوى من الإشارة.. في أمة لا ترى..."

* * * * *

قروت (ريم) ألا تنام كي تستطيع أن توقف (عاصي) بعد ساعة ونصف...

شعرت بالملل، فدخلت على (المستجر) لتظهر لها رسالة على الفور:

— أما زالت مستيقظة!!!

كبت في هدوء:

— أجل يا (عمر)....

— لماذا؟

— لا أدري...

— (ريم)... هناك موضوع ما... أريد أن أحدثك فيه...

— ما هو؟

— لن أستطيع هنا... هل يمكنك مكالمتك هاتفياً؟

— بالطبع... لا مشكلة...

لم يفض ثوان حتى رن هاتفها، فردت لتجد صوتاً خفيفاً وهادئاً:

— (ريم)... أخبارك؟

قالت بلهجتها المرحية، البسيطة:

— لماذا لم تنم حتى الآن؟

قال بصوته الخفيض:

— أفكر فيك...

فاجأها رده، فلم تدبر ماذا تفعل سوى أن تضحك قائلة في تردد:

— لا تمزح...

صمت لحظات طوال، فقالت مغيرة الموضوع:

— فهم كنت تريدني؟

طال صمته أيضاً، فشعرت بتوتر لا تدري مصدره، حتى قال لها:

— أريد أن أقابل أهلك...

ورغم أن الموضوع واضح، إلا أنها تساءلت، ترجو أن يكون قصده شيئاً

آخر:

— لماذا؟

— ليس للأكل معه أكيد... أريد أن أخطبك...

تصاعدت دماء الخجل إلى وجنتيها لا إرادتها، فتردد صوتها وهي تردد:

— ماذا؟

قال سورها كأنها بعثتني إلى نحو هذه شخصيات:

- أتيتك لأن الموضوع هام... لكنك لا ترى... منذ أن بدأت العمل منذ
أن كنت وأنت مت... لكنك لا تلاحظين إطلاقاً... حتى عن أحد المستطير
أنت تصعور الصلاة... لأنه لا توجد صلاة لا تلاحظ مستطير في الواسع
أنت.

وصفت خطاه مستطير دعوت فهد ما لم تود أكمل هو:

- لكي تعرف أنت لا تلاحظين ليس أكثر... فقلت أقدم الطريق هو مستطير
الستيم... فهد لا أقدم لك رسمياً!!!

فهي ما جعلها شجيرة ذلك الخجل الذي سيطر عليها لسأل في هدوء
هل يمكن أن أسألك سؤال محير!!!

- بالطبع...

صمت لحظات تستجمع شجاعته، ثم قالت:

- ماذا؟

- ماذا؟

- ماذا تريد أن تروي حتى!!!

فهم بالأمر أنك من السؤال، ثم قال في تردد:

- لأمك حيلة...

قالتا صيغة سؤال، كأنهما يقولن "هل أنجحت هذا الأمر؟" فقلت باسمه
- سامعي حيلة!!!

صمت لحظات، ولم يجد جواباً!!!

- حيوة حيلة... يعني... حلوة...

تقصتها فجأة شخصية (العاصي) فقلت بحركة ما تذكر فيه تستطير
العصاة:

- لوجه جميل وحسن راعي ليس كذلك!!!

لأنك لوتها شجيرة، فقلت بهدوء:

- قل لي بهدوء ولن أنقص، فقط أريد العواطف...

قال علي لوتها كنه، ثم استجمع شجاعته قائلاً:

- أعمل وجهه ملوح، وحسن جعل...

ثم قال كأنها تذكر شيئاً فأكمل كأنها بعثت:

- وبالطبع طيبة وذات دم عفيف ومحترمة...

صمت في سخرية وخشاً عليها وقالت:

- أجي... كشور موهلي جدي... شكل جميل وكاموار العت... ودفرة في
عروض أخرى...

لم يدر ما يقول، فقال بلا معنى:

- لا أهتم... هذا طبيعي... ألا لا أعرهت حتى أرى أكثر من هذا... أنت لا
تستطيعين...

- مستطير لي...

قالت بنسبة في هدوء:

- سكر... أعطيت أول فرصة تعرفني... سأخبرك شيئاً لم أخبره أحد
من قبل...

صمت في الهدوء، مستطير إجابته، فقلت بنسبة حيوة وصورة (العاصي)

فقال كيانها كنه وأوتها تمل على فخرها:

- أنا اسمي (رسمي)!!

ثم تحدثت (يسر) بكلمة، حتى هذا بكاءه...

هذا صوت نهته وبكائه الشكوى، ثم جاء وهي صامتة، فقال بعد فترة صمت:

- آسف...

انسمت النسيمة حيوة وقالت بهدوء:

- آسف على ما؟!!!

قال بهدوء:

- لأنني عكرت صفو مكالمتنا...

ضحكت في هدوء وقالت:

- لا تقلق...

قال بلهجة خجولة:

- توقعت أنك أنت التي ستبكين... ندمًا أو كرهًا لي...

ضحكت ثانية وقالت:

- أنت لا تعلم كم أنا مجنونة...

ثم صمتت لحظات مفكرة، وأكملت:

- الفكرة بمنتهى البساطة أنني أكره كوني فتاة... أو ذلك القيد الذي يحكمني

لمجرد أنني أنثى... وعندما كنتُ في أسوأ لحظات حياتي، جئت أنت... فرصة

لأكون حرة... لأفعل كل ما هو محتون وغير معتاد... قد لا تفهم ذلك... ولا

يفهمه أي أحد... إن حكيت قصتي وما فعلته الآن للناس... فربما كرهوني

وحكموا علي أنني عاهرة... أعلم هذا... لكنني الآن أشعر أنني طائفة... أنا

حرة... فعلت شيئًا وحدي ولم أخف من نظرة أحد لي...

ساد الصمت لحظات، فقالت:

- أئن تخبرني لماذا يكيث؟

لم يرد على الفور، ثم قال بصوته الدافئ:

- لقد شعرت...

وصمت بعدها، فلم تفهم، وقالت لتستحس:

- شعرت بماذا؟

حمل صوته لبرة ماء، تدل على قوة خفية ظهرت بداخله:

- فقط شعرت...

وأكمل في هدوء غريب:

- منذ فترة طويلة... أبعد حتى من ذاكرتي أن تحتويها... وأنا لا أشعر... لا

أدري لماذا ومتى بدأ عدم إحساسي بالأشياء... هل عندما فشلت وأنا صغير...

أم عندما سرت في الدنيا بلا هدف أو معنى... عندما مطبت في حياتي لا

اختاره، وأدع الناس يختارون لي، أم عندما فتحت عيني لأرى أنه لا أحد

بجانبي، والكل تركني بلا روح... لا أدري... ربما كل هذا جعلني أسمع

تدريجًا يومًا تلو الآخر... لأجدي في النهاية... لا أشعر...

صمتت مبهوتة، فأكمل:

- أنت لا تتخيلين معنى الموت وأنت على قيد الحياة... مات والدي قلم

الك على... وماتت والدتي فلم أشعر بالحزن... تزوجت، وعندما لم أفرح...

وعندما ألجيت لم أشعر بالأبوة داخلني... فقط هناك طفل ما يأتي ليحلم حياتي

عديمًا... ابتني كان اسمها (ملك)... ورثت جمال أمها وذكاها...

ورثت علة دمي عندما كنت أملك روحي...

شعرت بالمقاجة، عندما عرفت أنه متزوج وأب، في حين أكمل هو وقد بدا

أنه لا يستطيع أن يتوقف:

- زوجتي كانت من اختيار أمي، كما كانت حياتي كلها من اختيار أي...

لذا لم أكن أحبها... لكنها كانت طيبة جدًا... تفعل ما تستطيع لتجعلني أحبها

وكنت معها جامد كتمثال... قد لا تتخيلين هذا... لكنني لم أتم معها سوى

مرتين اثنتين عن (ملك)... رغم أنها كانت جميلة... ويتمناها أي رجل...

لكنني ببساطة... لا أشعر... فكيف أريدها...

ثم صمتت، وكانت هذه المرة أطول من المعتاد، ولكنها لم تتحدث، ظلت

صامتة تمامًا تقديرًا لتلك الحالة من الصفاء النفسي الذي يمر به، في حين أكمل

بصوت خفيض:

- حتى ماتنا...

التسعت عينها في ذهول وصاحت:

- ماذا؟

بهت صوته وهو يكمل:

- ماتت زوجتي... وابنتي ذات الأعوام السبعة...

صمتت تمامًا وأكمل هو:

- منذ أسبوع واحد... كنت في عملي، وحدثت أكثر من عشر مكالمات لم أرد على الهاتف، لم أرد على خمس منها لأنني ظننت أنها تريد أن تأتي بشي، وأنا عائد إلى البيت... لذا تجاهلتها وتركت الهاتف وذهبت للمدير... حتى عدت... لأجد أباها يحدثني بصوت بك... يخبرني أن هناك حادثة... بدأ صوته يرتجف، يقاوم موجة بكاء تأتيه ثانية:

- في الطريق الدائري... زوجتي بعد أن جاءت بابنتي من المدرسة كانت تقود السيارة... وفي تقاطع كبير تأتي عربة نقل ضخمة... يقودها سائق نائم أو يشرب المخدرات... ليصدم عربة زوجتي... فتقلب العربة عدة مرات... ماتت زوجتي على الفور... لكن (ملك) ظلت حية لبعض الوقت... سألت دمعنها رغماً عنها وقالت:

- أتعني... 119

قال بصوت بك:

- إنها هي التي كلمتني كل تلك المرات... كي أنقذها... وإلى جانبها أمها لا ترد عليها... وأبوها أيضًا لا يرد عليها... لأنه مات قبل أمها بكثير... فقط لحظتها... سلمت أمها إلى ربها... كي يرعاها...

تصاعدت نهته ثانية، في حين اتهمرت دموع (سرا) رغماً عنها...

فأكمل مقاومًا بكاءه:

- رغم ما حدث... لم أشعر... فراغ غير طبيعي داخلي... كائن أخوف من داخله... ووقفت في العزاء مذهولاً... كيف لا أحزن؟... كيف لا أبكي؟... إلى أي درجة مت من داخلي 19 كيف لا أفقددها 19 كيف قتلت ابنتي بدي 119 وأكمل ودموعها تنساب:

- عدت لبيتي... ومن يومها لم أتحرك... ومنذ يوم واحد فقط، أمسكت

هاتفي... أريد أن أصرخ... أريد أن أحدث أي شخص... رجلاً كان أو امرأة... أريد أن أخبرهم كيف كنت قاتلاً... كيف قتلت عدة مرات...

بدأ صوته بهذا ثانية، وهو يكمل:

- ثم سمعت صوتك عندما رددت على هاتفي...

وأكمل:

- شيء في صوتك جعلني أشعر براحة غير طبيعية... ذهبت لأني شعرت... هدوء حل بي... أنا لم أكن أريد مكالمات جنسية... كنت فقط أريد أن ألتصق... وعندما شعرت بالخوف... خوف من أن أواجه نفسي... فقلت هرباً إنني أريد الجنس... عسى أن تغلقني غفلة مني... لكنك أكملت... لتجعلني مقاومتي للكلام شيء أصعب... كل ثانية مرت كنت أريد أن أخبرك من أبا... صوتك يدفعني للقول... وأنا لا أريد...

صمتت تمامًا محاولاً أن تستوعب ما يقول، فأكمل:

- وعندما فعلنا ما فعلنا... قوة غير طبيعية حلت بي... فجأة وحدث كل شعور لم أشعره في حياتي بأني بقوة... ما بين سعادة واهتمام وحنين واحتياج... حزن... وبكاء... لذا رغماً عني... بكيت... وساد الصمت...

هدوء غريب حل (بأمل)...

رغم بكائها تقريباً طوال الليل... إلا أنها بعد أن حكيت (باصطفى) أحدها... شعرت أخيراً بالهدوء... لم تحاول ثانية أن تكلم (محمد)... فقط ظلت صامتة تمامًا لا تفعل شيئاً إلا الصمت... والهدوء...

عبط (باسم عبد الرحمن) من بيته في السادسة والتصف، ووقف في الشارع منتظرًا حتى تأتي أي وسيلة مواصلات، فاقتربت منه عربة آجرة لينشر إليها بورقة مكتوب عليها "معهد الآس" ... فأشار له السائق في تعجب أن يركب، وعندما ركب قال السائق في مزح:

- ألا تترك تسكن في تلك المنطقة الرقبة، تخشى أن تقول معهد الآس صورت عال 1119

اتسم (باسم) في هدوء، فقال الرجل بضحكة:

- عجيب لمركب لها البشر...

نظر إليه (باسم) متسائلاً، فقال السائق:

- أعلم يا بننا؟ لي قريب.. شاب مثلك تمامًا... ابن أخي... طوال عمره

باتني بني.. وأعمل معه الواجب وأتناول معه وجبة الغداء على حسابي... وعندما ضاق به الحال أعطته نفودًا... حتى تخرج في الجامعة وعمل في مصنع كبير... ليزدعر حاله ويعيش عيشة كريمة... وانقطع عنا تمامًا لا يسأل عنا ولا يحدثنا... حتى في خطوته لم يتقنا... خطب ابنه أحد رؤسائه... المهم... شامت الصدقة أن عرت تعطلت وهو مع خطيبته، فأشار إلى (تاكسي)، فوقفت له أنا... نظر لي وعبرني بالطبع... لك قال بلهجة متعالية ولهجة رسمية "المهندسين يا أسطى" وضغط على يا (أسطى) هذه وهو ينظر إلى خطيبته في خوف من أن أقول شيئًا... فقهمت على القور... لكن قلبي رق... إنه ابن أخي في كل الأحوال... فأركبته معي هو وخطيبته... فتاة جوفاء، مظهر فقط... المهم كي لا أظلم عليك... أوصلة للمكان الذي يريد... وعندما خرج من العربة، وأخرج حافطك، الصرفت دون أن أعطيه فرصة ليخرج منها نفودًا...

اتسم (باسم) في هدوء، فأكمل الرجل:

- تسألني لماذا لم أتكلم... فلا أستطيع أن أردد عليك... أنا في حياتي كلها لا أتكلم... لا أستطيع أن أصرح... إذا كان من حال البلد... وحال معيشتنا...

لا أتود كل يوم إلى زوجتي في جيب مئة جنيه لعيش بها يومًا ونسهي.. لأمرني في اليوم التالي لكسب مئة جنيه أخرى... كيف ومافا وفي أي شيء أتكلم 1119

من غلاء الأسعار أم من الفقر أم من "قلة الكرامة" 1119 لقد تعودت على الصمت... ولم أتكلم مع ابن أخي، ولم أحو خطيبته أني عنه... رغم أن هذا البسط حقوقي... لكن أخبرني أنت بالله عليك... هل تأخذ بالفعل البسط حقوقي 1119

وجسدت... ثم أكمل دون حتى أن يتنظر إجابة (باسم):

- نحن الفقراء ليس لنا أي حقوق في هذا البلد...

وأوقف العربة أمام (معهد الآس)، أبيض (باسم) ويعطيه النفود، فيقول الرجل بالأسامة معتبرة:

- أوجعت رأسك بكلامي...

اتسم (باسم) في هدوء وهو يتصرف، ليجد صدقته تقرب منه بأسامة، ثم أشارت إليه إشارات خاصة تعني:

"لماذا تبتو حزينة؟"

أشار إليها بهدوء:

"... لا شيء..."

أشارت إليه متسائلة:

"هل ضابقت سائق التاكسي 119"

نظر إليها لحظات، ثم أشار:

"إنه مسكين..."

ثم تفهم، فأشار لها بالأسامة حزينة:

"إنه آخر من... مثلي ومثلك..."

"هيا يا (سارة)..."

قالتا ذلك الرجل الطيب قريبهما، لترفع (سارة) عينها إليه، فقال الرجل:
- لا بد أن نذهب للصلاة عليه... ثم تدفنه في مدافن العائلة...
شعر (ياسين) بشفقة غير طبيعية نحوها، لكن أدهشه سكونها وقوتها، وهي
تهبط في هدوء، ثم تقول:

- هذا (ياسين) يا عمي، وهذا عمي (ناصر) يا (ياسين)...

نظر (ناصر) بهدوء لـ (ياسين) فقالت (سارة):

- (ياسين) من أعز أصدقائي...

بدأ هذا التقديم ليس في وقته إطلاقاً، لكن (ناصر) همز رأسه في طيبة وهو
يسلم عليه، فقال (ياسين):

- أبقاه الله...

- ونعم بالله...

ثم التفت إلى (سارة) قائلة:

- هيا يا بنتي... إكرام الميت دفنه...

بهدوء وصمت مضت (سارة) إلى خارج الغرفة خلفها عمها و (ياسين)
الذي يعرج لإصابته، ومضى ذلك الموكب الصامت لينضم إليه كل من كانوا
بالممر، حتى هبطوا نحو عرباتهم جميعاً، فوقفت (سارة) أمام عربتها، ثم قالت
لـ (ياسين) بنظرة رجاء:

- هل يمكنك أن تقود أنت؟

قال بهدوء:

- بالطبع...

وأخذ منها مفاتيح العربة...

والطلقا... وخلفهم باقي العربات...

ثامن الساعات

الساعة السابعة

احسرت عينا (أمنية) فائداً من كثرة النظر إلى شاشة الكمبيوتر طوال الليل،
ومن كثرة ما قرأت من مقالات، تنشر ما يحجبها ويترحمها...
إصرار عجيب على إنهاء وكل ما ترغب فيه هو الاستمرار في المقام عين
نورتها... لأول مرة تشعر بنفسها...
تعرف شخصيتها...

عندما كانت تنظر للشباب في سبها، لا تجد إلا نظرة الاستسلام والسلامة في
عيونهم، حتى تبنت نظرية أن معظمهم لا يعرف نفسه، ويفعلون ما يطلب منهم
فقط، لا يعرفون من هم وماذا يريدون، لذا يعلو نظرتهم حمرة ما... كوكبات
آلي... مزيج على فعل شيء ما...

وكانت هي منهم...

حتى قاومت، وعرفت ماذا تريد...

إغلاق تلك الصفحة...

رغم بلاهة الأمر، إلا أنها اكتشفت شخصيتها في تلك القضية...
قطع أفكارها ملاحظة صغيرة، أن كل ما نشرته في الساعة الماضية لا يظهر
في الصفحة الرئيسية...

أدهشها الأمر، وأخذت تضغط على (تحديث الصفحة) فلم تجد أي شيء

يظهر باسمها، فاعتقد حاجبها، لا تفهم ما يحدث...

كلت صديقتها التي ردت عليها بصوت نائم، فأخبرتها (أمينة) على أن تهض وتفتح صفحة الـ (facebook)، فنهضت صديقتها وهي للعنقا... لتخبرها في النهاية أن لا شيء يظهر مما نشرته... بل إنه كل ما نشرته من قبل قد حي تماماً...

وأغلقت (أمينة) الهاتف دون حتى أن تودعها... ووقفت مذهولة....

نظرت إلى الشاشة وملفها لا تستطيع الحراك... مجهود ثماني ساعات ذهب... في غمضة.. أزيل...

كيف 119

دوت في عقلها كلمة عنها الهائلة بالف صدى... "لكنك انتي... وأنا مثل أي أب... لن أسبح لأحد أولادي أن ينادي نفسه... حتى لو كان عذاراً غشاً عنه"

وتكررت كلمة "رغشاً عنه..." في رأسها آلاف المرات... السالت دموعها وهي تقف صامتة... ماتت ثورتها...

تلك الروح التي ميزتها... ذهبت أدراج الرياح... وبخطى بطيئة، كمن حكم عليه بالإعدام، جلست إلى الكمبيوتر... ولأول مرة في حياتها، فتحت صفحة (الله) لتقرأ ما بها... كلام ذلك الشاب، قصة في الإلهام... قصة في الكفر... لكنها لم تفتح الصفحة لتقرأ كلامه... بل فتحتها لترى كلام الأعضاء...

سنة عشر ألف شخص...

ثم ارتفع حاجبها في دهول من دهول ما قرأت في أول الصفحة... "إسلام الحسيني" انظم حديثاً إلى الجروب "

كيف 119

هي تعرف (إسلام) وتعرف أنه محافظ... كتبه تعليقاً صغيراً في آخر الصفحة كلمات قليلة... إنه الضعيف... إنه اليأس... هذه هي أسباب الضلال... في زمن تركه الكل هويته... وثاء كل شخص في هويته...

لم يفهم النصف الأخير من الكلام... أكملت القراءة، أسعد معظم التعليقات بكلام... معظمهم بلا حورية...

لا يعرفون من هم... ولماذا خلفوا... ضاع كل ما آمنوا به...

إله الضعيف... اليأس... إنها صرخة احتضار... ودمعة على وجهها، قالت:

- هكذا يريدونها وأكملت بالكية:

- أستعفر الله العظيم...

وحطعت على (الشر الك)...

أصبح عدد الأعضاء ستة عشر ألفاً....

وواحدة...

لم يصدق (أحمد السيد) ما رآه عندما صعد الأتوبيس... وجدها هناك... جالسة على أحد المقاعد... سلم على بعض أصدقائه، ثم فحبت إلى (سليم) وقال باستغاد وما هذا النور؟ أنها أول مرة تتركين بيتك...

ابتسمت في هدوء وقالت:

تعطلت سيارتي... فقلت أركب معكم اليوم... وعم (علاء) وافق...
أراد أن يذهب ليقبّل عم (علاء)، لكنه ابتسم، فقالت له بهدوء:
- لماذا لا نجلس ١٩

تردد بعض الوقت، ثم جلس إلى جانبيها، فقالت:

- كلمتك البارحة ولم ترد علي...

هز كتفيه وقال كاذبًا:

- كنت نائمًا...

هزت رأسها في تفهم، ثم قالت:

- وأخبار (فاطمة) ١٩؟

قال في عدم تركيز:

- (فاطمة) من ١١؟

وعندما ارتفع حاجباها في دهشة، استدرك:

- آه... جيدة...

- هل يمكنك أن أرى الدبلة ١١؟

تردد لحظة، ثم أعطها إياها، فنظرت إليها في هدوء، ثم ابتسمت في سعادة
وأعادتها إليه، فنظر إليها متسائلًا، فقالت بهدوء:

- أنت لم تقرأ حتى ما بداخلها... أليس كذلك ١٩؟

نظر بدهشة إلى الدبلة، ونظر إلى الإطار الداخلي لها ليجد مكتوبًا عليه:
" (محمد) و (أحلام) 1979 ... "

ارتبك في حين ضحكت وقالت:

- كنت أعلم أنك كاذب...

نظر إليها لحظات دون أن يدري ما يقول... فصمت تمامًا...
رمته في هدوء، ثم قالت باسم:

- لماذا يا (أحمد) ١١؟

نظر أمامه دون أن يرد عليها...
وعندما طالت نظرتها له، وقد شعر بها في جانب وجهه، أطرق إلى الأرض
لحظات، وقال بصوت خافت تمامًا:
- كني أحميكي...

ارتجف قلبه وقلبها وساد الصمت بينهم لحظات طوال...

بأسلوبه، كان هذا اعترافًا صريحًا منه...

ولأنها تفهمه... أدركت...

فقط صمت طوال الطريق، ولم يتحدث هو بكلمة...

وعندما وصلا للمحكمة، هبطا معًا، ومشيا في هدوء...

فقط، التفتت إليه في سرعة، وقالت:

- (أحمد)...

نظر لها وهو يتوقف عن المشي، فقالت له بهدوء:

- لا تخميلي...

وقالت مبتسمة:

- أنا مؤمنة... ومتفائلة... وأعلم أنك تستطيع أن تفعل ما تقدر عليه...

نظر لها لحظات في صمت، لا يفهم، فأكملت وحسرة الخجل تتصاعد إلى
وجنتيها:

- فلا تخميني من شيء... أنت لا تعرف مستقبله... لا تقتل طفلًا لمجرد أنه

ابنك وسيصبح... في نظرك... فاشلاً مثلك... أعطه الفرصة... دعه يكبر...

ربما يصبح هو كل ما تمنيت في حياتك... ربما أنت شخصيًا عندما تجد ابنك بهذه

الروعة... تعرف معنى الأمل داخلك... وترى نفسك تحيا...

وصمت لحظات طويلة قبل أن تكمل:

- كما أراك...

وتركته وانصرفت مسرعة، تاركة إياه واقفًا كمسار...

شيء واحد كان يتحرك داخله...
قلبه الذي كان يقاوم كل شيء في جسده، كي يركض خلفها ويستقر بين
يديها...

وداخله... تصاعد قرار صارم...
لن يقتل ابنه...
لن يقتل حبه...
أبداً...

* * * * *

"أشكرك..."
قالها الصوت في هدوء، فابتسمت (يسرا) وقالت:
- علي ماذا؟!
قال بصوت جميل، ظهر فيه صفاؤه وراحته:
- أنت لا تعلمين ماذا فعلت بي... لا تصدقين سعادتي، إنني أشعر أساساً
بالراحة...
قالت بصوت خفيض:
- وأنت لا تعرف ما غيرته بداخلي أيضاً...
قال في سعادة ملحوظة:
- سؤال... هل بعدما عرفت كل شيء عني... تكرهيني، أم تحبينني، أم
تشفقين علي؟!
شردت عينيها لحظات، ثم قالت باسمه:
- لا أدري...
وعندما صمت، أكملت بابتسامتها الصريحة:
- فيك كل شيء يجعلني أراك شخصاً جيداً.. لكن أفعالك تجعلني أراك -

معلمة - حيواناً... وفيك كل شيء يجعلني أكره كل ما أنت فيه...
ثم ابتسمت مكلمة:
- أنت تذكرني بكلمة أقروها كل يوم على ظهر الأنوبيسات وعربات
الأجرة...
قال في فضول:
- ما هي؟!
- الإحساس نعمة...!
ضحك بشدة، ثم قال باسمه:
- هناك مقولة، قالها لي صديقي يوماً...
- ما هي؟!
قال بهدوء:
- "ما عجبت من رؤية الحياة مسلوكة في عيون الأموات... وعجبت من
رؤية إنسان... ماتت الحياة في عينيه..."
ابتسمت ثم قالت باسمه:
- لماذا تبدو سعيداً...؟!
قال في مزح:
- لأن هذا ما كنت أحتاجه بالضبط...
- ماذا تعني؟!
صمت لحظات، ثم قال باسمه:
- كل ما أردت إخبارك به هو.. شكراً لك...
- وشكراً لك أيضاً...
وساد الصمت، ثم.. ودون أن تدري لماذا.. سألت:
- هل ستكلمني ثانية؟!
صمت لحظات، ثم قال بهدوء:
- ربما...

شعرت بضيق لأنه أخرجها، فقال بسرعة:

- لا أحد يعرف ما يحمله الغد...

قالت وقد شعرت أنها تحتاجه ولا تريد أن تغلق:

- هل ترغب أصلاً في مكالمتي؟؟

شعرت به يتسم في حنان وهو يقول:

- أنا أرغب في الحديث معك عمري بأكمله...

شعرت بالخجل من كلمته، فقالت مبتسمة:

- سأطلب منك طلباً..

- أمرك...

بخجل قالت:

- هل يمكنك أن تكلمني عندما تستيقظ؟!

قال في هدوء:

- بالطبع... لكن...

ألصقت السماعه بأذنها، فقال ضاحكاً:

- إن لم أحدثك لا تغضبني... واعلمي أنك ملاكي الحارس...

فقالت بعند ليس أكثر:

- ساكلمك أنا...

قال بهدوئه الذي يشعرها بالراحة:

- ساكون في انتظارك...

وقال بعد فترة صمت:

- هل تريدني مني شيئاً؟!

صمتت لحظات طوال، ثم قالت بحنان:

- أريدك أن ترتاح...

بثقة قال:

- سأفعل...

قالت بسرعة:

- اسمي (يسرا)...

صمتت لحظات طويلة، ثم قال بعدها بحسم:

- وأنا اسمي...

ثم صمت ثانية، وقال ضاحكاً:

- اسمي قوليه أنت... اختاري اسماً يناسبك...

قالت بهدوء وهي تضحك:

- أنت لا تعلم كم أنت سخيّف... سأسميك أسخف إنسان في الحياة...

بضحكته الهادئة قال:

- أي شيء يناسبك...

قالت فجأة:

- سأسميك (البحر)...

- لماذا؟!

- لا أدري... أشعر أنه يناسبك...

صمتت لحظات، ثم قال في هدوء:

- حسناً... سلام يا (يسرا)...

وبضحكة قالت:

- سلام يا (بحر)...

وأغلقا....

* * * * *

كانت صلاة جنازة مهيبة...
كل عمال المصنع تركوا ما في أيديهم، ليصلوا على والد (سارة) في ذلك
المسجد بالعاشر من رمضان...

ارتدت (سارة) إسداً أعطته إياها إحدى السيدات هناك... وصلت معهم وحدها في قسم السيدات...

وعندما انتهت الصلاة، شارك في حمل نايوته أكثر من مائة شخص... وانطلق موكب العربات إلى حيث مدافن العائلة، ليدفنوه... وبتلوا عليه القرآن، و(سارة) تقف مستكينّة، صامتة ثمناً، ترتدي الإسداً نفسه... اقترب منها (ياسين) ووقف بجانبها، لا يدري ما يقول، أو ماذا يفعل، فالتفت إليه، وقالت بصوت متأثر:

- أشكرك...

قال بهدوء:

- هذا واجب...

وساد الصمت، حتى انتهت مراسم الدفن، وبدأ الناس في الانصراف، فذهب (ناصر) إلى (سارة) قائلاً وهو يربت على كتفها:

- هيا يا (سارة)... اذهبي لبيتك لتنامي قليلاً... ولا تقلقي من أي شيء... سأذهب لأحجز في دار مناسبات من أجل العزاء... فقط اذهبي أنت لتسترخي وتأكلي شيئاً... تستطيعي أن تشاركينا في تلقي العزاء...

نظرت له نظرة امتنان، ثم اتجهت ببطء إلى عربتها، وخلفها (ياسين) صامتاً حتى ركباً معها وقال:

- هل أنت متأكدة أنك تريدين القيادة؟؟

أومأت برأسها أن نعم، ثم قالت بهدوء:

- يكفي إصابة قدمك التي تتحملها...

ثم أكملت بهدوء:

- سأوصلك لبيتك، ثم أعود أنا...

قال بسرعة:

- لا داعي للتعبد... سأبذل في (موقف العاشق) وأركب أي شيء أعود به... قالت بهدوء:

ارجوك... لست في بال رائق للمجادلة... سأوصلك وانتهى الأمر... لم يعترض... وكانت آلام ساقه تفتك به... وعادت بهم العربة إلى الطريق...

آخر الساعات

الثامنة صباحاً

عاد (محمد إسماعيل) إلى بيته، ليحدها هناك...
أمام عينيه، واقفة في كامل زيتها، تنظر إليه بلهفة... واشتياق...
أنجبه نحوها، قيادته قائلة:
- (محمد)...

أشار إليها أن تصمت، ثم قال بصوت هادئ:
- لا يصح أن تحدث في الشارع يا (أمل)...
تقدمها ليدخل العمارة، ويصعدا إلى الشقة، لكنه لم يدخل إلى شقته، إنما فتح
باب الشقة المقابلة.. شقة أبيه وأمه، لتستقبلهم أمه بابتسامة ترحاب متألقة،
وهي تقبل (أمل) في وجنتيها وتحتضنها في طيبة قائلة:
- نورتي البيت يا حبيتي...
ابتسمت (أمل) في حضن أمه، شيء من الأمان الذي فقدته طوال تلك
الساعات الماضية...

قال (محمد) بلهجته الهادئة التي لا تدل على شيء:
- لماذا لا تأتينا بالشاي يا أمي...؟
نظرت إليه أمه لحظات، وقد أدركت ما يقصده انتهاء، فابتسمت في هدوء
وانجحت نحوه، ثم همست في أذنه:

- سأذهب، ورغم أنني لا أعلم ماذا يحدث... لكن اهدأ عليها... إنها طيبة وابتة حلال...

وقبلته في رأسه، في حين نظر (محمد) لـ (أمل) بانتسامة وقال:
- تفضلتي...

وجلسا في الصلاة...
قالت متسائلة:

- لماذا أتيت بي هنا؟!

نظر لها ثم قال في هدوء:

- لا يصح أن تجلس في شقتي وحدنا...

ابتسمت وقالت في حيرة:

- أنا أئن بك...

علت شففيه ابتسامة ساخرة.. تحمل داخلها الكثير من المرارة وقال:
- أنت تثقين بأناس كثيرين مؤخرًا...

طعنت كلمته قلبها، وقالت فجأة بتأثر شديد:

- والله العظيم هو كاذب... إنه لم يلمسني... لم يفعل شيئًا... أقسم لك بأنه...

أشار إليها إشارة صارمة أن تتوقف... ثم قال بهدوء:

- إن لي من الخبرة ما يجعلني أعرف إن كان الشخص الذي أمامي يكذب علي أم لا...

- وما رأيك فيما قاله؟!

هز رأسه بلا معنى، ثم قال بثقة:

- إنه كاذب في أشياء، وصادق في أخرى...

نظرت ولم ترد، فأكمل بهدوته:

- كاذب في كل ما يتعلق بلمسك وتلك الأشياء... كاذب فيما يتعلق بأنه أراد أن يتركك عندما عرف من أنا... كاذب فيما قال إنه مستمر في الكلام

معك شفقة...

نظرت له، وعلت شفقتها علامة راحة، لكنه أكمل:

- وصادق في أنك أنت من أردت أن تعودني إليه بعد خطيتا... صادق في

أنكما خرجتما معًا البارحة... وصادق في أنك لا تراعين حرمتي ولا حرمة

بيتك...

اختفت ابتسامتها تمامًا، وساد الصمت، ليقطعه دخول أمه حاملة صينية

الشاي، لتضعها على مائدة صغيرة، ثم نظرت إليهما وقالت بانتسامة:

- هل أحضر لكما الإفطار؟!

قال (محمد) بانتسامة مشيرًا لـ (أمل):

- ما تأمر به (أمل)...

نظرت له أمل، بدموع مكتومة في عينيها، ثم نظرت لأمه متصعة النسامة:

- شكرًا يا أماء... لا تعني نفسك...

ربتت أمه على كتفها قائلة بانتسامة خونة:

- أنت تبتدين ضعيفة... ثم هل تعرفين عن حالتك أنها بخيلة؟! ... إن لم

أعجب من أجل أنني فلن سأتعجب...!!

شعرت (أمل) برغبة شديدة في البكاء، لأنها لا تستحق كل هذا الخذلان من

أمه، لكنها لماسكت ناظرة إلى (محمد) بينما قالت أمه في هدوء:

- سأذهب لأحضر الإفطار...

وذهبت، وقبل أن تغلق الباب، أشارت إلى (محمد) أن يحو عليها قليلًا...

قالت (أمل) بعد فترة صمت:

- أنا أحبك...

وترد عليها ابتسامة (محمد) الهادئة:

- وأنا لا أصدقك...

فتنظر إليه (أمل) بحزن، ليكمل حديثه:

- أنت مسكينة يا (أمل)... أنت لا تحبين إلا نفسك... لا تحبين إلا من ليس

في يدك... لكنك تفسين أنك عندما كنت مرتبطة بـ (أمن) - رغم حيك له
- كنت كل يومين تشعرين أنك لست له... وأنه لا يقدر... ويعاملك معاملة
سيئة... وأنت تريدين الانفصال... فقط لأنه كان موجوداً... لأنه مضمون...
فشعرت أنك لا تريدينه...

وصفت الخطوات ليكمل بابتسامة:

- حتى تركك... ووجهك لك ضفحة كبيرة...

نظرت إلى الأرض في حزن ليكمل:

- ليحعل رغبتك فيه تريد... إنك تعشقين المستحيل لمحرم أنه مستحيل...
مسحت من ذاكرتك كم كنت غير مرتاحة معه... لم يبق في ذاكرتك إلا كم
تحيته... الفكرة المثالية لمن يعيش في دور الضحية... لم تزوج هو... لتريد

فكرة استحائه... فتزدادين رغبة فيه... وتكلمينه وتعودين له...
انسابت دموعها غزيرة وصامتة، ليكمل بهدوء وقوة وثقة، لم ترها فيه من
قبل:

- إنه مرض... أعانك الله عليه... أنا أشفق عليك منه حقاً...
ثم ابتسم مكملًا:

- أعلمين لماذا تشعرين أنك تحبينني الآن فقط؟

نظرت إليه متسائلة، فأكمل بابتسامة:

- لأنني ابتعد... سأصبح مستحيلًا آخر ترغبين فيه... فجأة مسحت من
ذاكرتك كل شيء له علاقة بـ (أمن)... وأصبحت أنا كل شيء...
ثم نظر إليها وقال:

- سأسألك سؤالاً واحداً فقط... بل سؤالين في الحقيقة...:

- كيف تضعين نفسك في موقف يقول فيه شخص حقير مثله عليك هذا
الكلام؟... هل أنت رخيصة على نفسك إلى تلك الدرجة؟... ما من أحد
يؤمن إلا ويعرف أنه كاذب ولا يحب إلا نفسه... كيف تكونين عمياء
لتلك الدرجة؟... كيف تضعيني في هذا الموقف؟... ضابط شرطة محترم

يسمع هذا الكلام عن زوجته؟... كيف؟

لم تنطق بكلمة...

صفعات متتالية وجهها إليها بكلامه، ولا تقدر حتى على التأوه...

عاد بظهره للوراء، وقال بالهدوء نفسه:

- والسؤال الثاني الذي آیا كانت إجابته... سأفعلها...

نظرت إليه متسائلة، فقال:

- ضعي نفسك مكاني، وانظري بعيني... أنا أحبك أكثر مما تتخيلين...
ويمكنني أن أسامحك على أي شيء تفعلينه... حتى ما حدث مع أمن، يمكن أن
أسامح...

نظرت إليه غير مصدقة، فقال بيسمة خنون:

- أجل... أنا أحبك لتلك الدرجة...

بهتت من إجابته لكنه أكمل:

- لكني سؤالي هو...

وصفت الخطوات... ربما ليعطي سؤاله الأهمية الكافية:

- لو أنك مكاني... وتنظرين بعيني... هل ترين أنني أستحق هذا؟... هل
ترين نفسك زوجة صالحة لي... هل تستحقين كل هذا الحب مني؟... أم
لا؟

لحظتها دخلت أمه قائلة:

- الفطور جاهز...

فقط لتجد (محمد) و (أمل) ينظران إلى بعضهما في صمت...

ثم همست (أمل) بالإجابة...

هبط (أحمد العاصي) مسرعاً فقد تأخر على العمل، رغم أن (ريم) كانت

توقفه من الساعة السابعة والنصف، إلا أنه هبط متأخرًا...

كانت المكتبة على بعد عشر دقائق من البيت، فمضى إليها بسرعة يكاد يركض، ليستقبله زميله بابتسامة قائلا:

- تأخرت يا (عاصي)

ذهب مسرعًا ليرتدي القميص الرسمي للمكتبة، فقد كانت مكتبة كبيرة... بدأ عمله البداية المعتادة، لتمر نصف الساعة كالمعتاد، عندما أتى إليه زميله يخبره أن هناك من ينتظره في الخارج، فذهب (عاصي) متعجبًا...

ليجد (ريم) واقفة في الخارج، تنظر إليه بابتسام...

بدت في قمة الجمال، فارتفع حاجباه في دهشة، وقال باستغاب:

- كيف أقول لك (رامي) بهذا الجسد الرائع؟؟

ضربته في كتفه بحقيبتها، ليضحك وتضحك معه لحظات، ثم تسأل:

- هل يمكنكني سؤالك عن هذه الزيارة الجميلة يا (رامي)؟

هزت كتفها بلا معنى، ثم قالت باسم:

- قلت أناك من أنك ذهبت لعملك سالمًا

هز رأسه في أسف وقال:

- كم أنت فاشل في الكذب يا (رامي)...

ضحكت بخجل، ثم مدت يدها في حقيبتها، ليقول لها مازحًا:

- مستورة والحمد لله...

ضحكت ثانية، ثم أخرجت من حقيبتها هدية، ملفوفة بقماش أحمر أنيق، مدت يدها إليه بها قائلة بابتسامة:

- كل سنة وأنت طيب...

ارتفع حاجباه في دهشة، كأنما فاتت هذه المناسبة - عيد ميلاده - من ذاكرته فأنظر إليها بابتسامة وهو يأخذ الهدية، ويبدأ في فتحها ببطء...

ثم رآها... كانت مربعًا خشبيًا رقيقًا، عليه صورة مطبوعة بالليزر، لوالد ووالدة

(أحمد)، أمامهما طفلين ضاحكين، يضع أحدهما يده على الطفل الأخرى بحبته، ويضحك الاثنان في براعة جميلة...

كانا (أحمد) و (ريم)...

قالت باسم:

- اقرأ ما كتب خلفها...

أدار المربع في دهشة ليجد كتابة...

>>> سأظل أراك هكذا مهما فعلت...

ذلك الطفل الحنون الذي كان يسكني عندما أعود ليبي آخر اليوم...

ذلك الطفل الذي ضرب ثلاثة من أصدقائه؛ لأنهم أخذوا (مصاصي)

فكيت...

وذلك المراهق... الذي عرف كيف يحتويني بآرائه، وكيف يجعلني أنهر

به...

ثم ذلك الشاب الذي مات داخله ذلك الطفل الذي أعشفه...

لكنه ما زال يهزني بأن يحيا بعد كل ما مر به...

ستظل في عيني نعم الأخ... والصدق... والأب... والحب...

فقط...

لأنني ما زلت أراك كما لم يرك أحد من قبل...

(رامي) << <

نظر إليها بذهول...

رغمًا عنه، ترقرت دموعه في عينه ولم يتكلم...

ونظرت إليه في حنان...

كل كلمة قالتها هزت كيانه...

بصوت مبسوح، متأثر، قال:

- أنا لا أدري ماذا أقول...

أنارت ضحكاتها وجهها وهي تقول:

- لا تقل شيئاً... هيا... عد إلى عملك... لا أريد أن يخضع لك يوم بسببي...

صمت تمامًا ثم قال:

- أشكرك...

وقبل أن ترد، قال بهدوء:

- يا (ريم)...

شعرت بسعادة غير طبيعية، ولم تكن تعرف كم كان اسمها جميلاً إلا عندما نطقه....

ابتسم عندما وجد سعادتها، في حين أدارت له ظهرها لتتصرف، فصمت لحظات ثم صاح:

- (ريم)...

التفت نحوه وقلبها يرقص فرحاً، فركض نحوها قائلاً:

- هيا بنا...

نظرت إليه متسائلة، فقال ضاحكاً:

- أريد أن أبقى معك... لا أستطيع أن أتركك الآن...

ابتسمت في سعادة، فقال بسرعة:

- سأغير ملابسي في دقيقة وأنطلق معك...

وتركها وهو يركض ليدخل المكتبة، ثم لم يلبث أن عاد راكضاً نحوها لتنظر إلى متسائلة، فقط ليقول ببسمة:

- يا (ريم)...

ضحكت بشدة، ثم قالت بحنان:

- قلبها ثانية...

صاح في حماس:

- يا (ريم).. يا (ريم).. يا (ريم)...

وتركها ليركض عائداً للمكتبة...

خلفه نظرتها العاشقة...

* * * * *

نامت (يسرا) كما لم تنم من قبل....

ابتسامة تعلو شففتها حتى وهي نائمة...

تقلب في نومها، لتجد جرس الهاتف يضرب، فنهضت في تكامل لتنظر للنمرة، فوجدتها غمرته تظهر باسم (بحر)، فابتسمت في سعادة، وذهب كل أثر النوم من عينيها، وهي ترد مبتسمة:

- استيقظت بدري...

صوت غريب رد عليها:

- السلام عليكم...

اعتذلت في جلستها ليكمل الصوت الغريب:

- هل تعرفين صاحب هذا الهاتف؟!

شعرت بالقلق، وهي ترد:

- أجل... هل هناك مشكلة؟!

قال الرجل في حيرة:

- هل يمكنك أن تخبرينا باسمه أو مهنته أو أي شيء؟!

شعرت بالحيرة وهي تقول:

- أنا لا أعلم أيًا من هذا...

صاح رغماً عنه في حلق:

- ولا أحد يعرف... جيرانه قالوا إنه انتقل إلى هنا منذ أسبوع ولا يعرفونه...

قالت وقد تصاعد القلق داخلها:

- ماذا حدث؟!

قال بحلق:

- في الساعة السابعة والنصف، جاءنا بلاغ عن أن هناك شخصًا ألقى بنفسه من الدور الرابع عشر... فنأتي هنا... لنجد جثة ملقاة في الشارع... ولا يعلم أحد عنها شيئًا...

شعرت بروحها تذهب منها، ولم تصدق أذنيها وهي تقول:
- انتحرت؟!!!!!

صاح الرجل:

- أجل... بلا خطاب أو مذكرة أو أي شيء... لا أحد يدري أي مصائب تهبط على رأسه....

لم تسمعه والهاتف يرتطم بالأرض في عنف...
كيف تريد أن تصرخ... وكيف لا تستطيع...!!!!
ما هذا الفراغ القاتل الذي حلّ بها...
هي لا تعرفه..

لم يدخل حياتها أبدًا إلا منذ بضع ساعات...
في يوم ما...

كيف تشعر بكل تلك الوحدة!!!!
كيف تبكيه الآن كمن يبكي حبيبته!!!!
وكيف يفعلها!!!!
لقد كانت تنتظره...

كيف لن تسمع صوته الدافئ الخنون ثانية!...!
دوى كلامهما في عقلها كرصاص...
<< أريدك أن ترتاح... >>

<< سأفعل... >>

<< أعلمي أنك ملاكي الحارس... >>

<< لا تغضبي... >>

<< ماتت الحياة في عينيه... >>

كلام بلا معنى... وبلا ترابط...
لكنه يحمل صوته...
الدافئ.. الهادئ.. الخنون...
إنها وحدها...

كل هؤلاء الأصدقاء... وهي وحدها تمامًا...
لم يفهمها سواه...

أمسكت هاتفها من على الأرض ونظرت إليه مليًا... ودموعها تفرق وجنتيها...

ودون أن تدري، وجدت نفسها تطلب رقمًا غريبًا...
وتنتظر في هدوء ليرد عليها أي أحد...
أي أحد...

* * * * *

وقفت عربية (سارة) أمام بيت (ياسين)، وتبادلا النظرات، ليقول (ياسين):
- هل أنت متأكدة أنك لا تريدين أي شيء مني؟!
حاولت التماسك، لكن خانتها دمعته، وهي تهز رأسها بالنفي لسؤاله قائلة:
- أنا لا أستطيع أن أشكرك بما فيه الكفاية...
هبط من العربية، ثم ألقى عليها نظرة طويلة، قبل أن يقول:

- وداعًا...

- وداعًا...

قالت بصوت خافت، ليتركها (ياسين) ويذهب نحو باب عمارته بهدوء...
صعد السلم بخطى بطيئة، تدور في عقله أحداث اليوم كلها...
كان يومًا طويلًا، والمثير للسخرية، أنه مازال في بدايته...
توقف فجأة ليتذكر شيئًا مهمًا... تذكره مع ذلك الصداغ...
إنه لم يأت بالسجائر...

في تأفف، هبط ثانية ليخرج إلى الشارع...
ليجد عربتها واقفة في مكانها لم تتحرك...
ذهب إليها مندهشاً، ليجدها تبكي في صمت...
رفعت عينها المليتان بالدموع، ونظرت إليه...
ولم يتكلما فترة طويلة.. فقط، أخذ كل منهما يتبادل النظر إلى الآخر..
ثم قالت بصوت ضعيف:
- أنا تائهة...

ارتفع حاجباه في حنان، وهي تكمل:
- لا أدري أين أذهب، ولا أين أنا...
صمت ناظرًا إليها بحنان شديد...
ودون أن يتكلما، اتجه نحو الباب الثاني، وفتحها ليجلس إلى جانبها في صمت...

ابتسمت رغمًا عنها في حنان، وقالت بصوتها الباكي:
- إلى أين؟!

نظر إليها لحظات، ثم قال بثقة:

- أي مكان تذهبين إليه...

نظرت إلى ساعتها، ثم ارتفع حاجبها في دهشة وقالت:

- لقد عادت الساعة إلى العمل...

نظر إليها نظرة تحمل ألف معنى، فقالت له بخفوت:

- فيم تفكر؟!

صمت لحظات، ثم نظر إلى نافذة العربة كي لا تفضحه عينه العاققة.. وقال

في هدوء:

- أفكر في الإقلاع عن التدخين...

ورغم أنها لم تفهم إلا أنها ابتسمت...

وانطلقت العربة بهما...

محمد صالح

كاتب روائي. كانت روايته (بضع ساعات في يوم ما) «الأكثر مبيعا» في الكويت. عمل مجلة كلمتنا لمدة أربع سنوات، تولّى منصب مسئول باب الأدب في المجلة لمدة ثلاث سنوات. يدرس حاليا في كلية إعلام القاهرة بالجامعة المفتوحة. له العديد من القصص القصيرة والقصائد نشرت في المجلة وفي المواقع الإلكترونية والقيس بوك. ¹
للتواصل على الصفحات الاجتماعية:

<https://www.facebook.com/MOHAWEDS4DEKES>

والجود ريدر:

<http://www.goodreads.com/user/show/7114215>

صدر له:

- طه الغريب (رواية)، ط ١: (٢٠٠٩ - ٢٠١٠)، ط ٢: (٢٠١٢) -
٢٠١٣، دار الكتب للنشر والتوزيع.

- بضع ساعات في يوم ما (رواية)، ط ١: (٢٠١١ - ٢٠١٢)، ط ٢: (٢٠١٢ - ٢٠١٣)، دار الرواق للنشر والتوزيع.

الصفحة الإلكترونية على القيس بوك والجود ريدر:

<https://www.facebook.com/sadek.bed3sa3at>

<http://www.goodreads.com/book/show/15151283>

- هيبتا (رواية)، ط ١: (٢٠١٣ - ٢٠١٤)، دار الرواق للنشر والتوزيع.